مطبوعات مكتبة مصر



تأليف

عبد الحميد جودة السحار

الناشر
مكتبة مصر
٣ شارع كامل صدقي - الفجالة

دار مصر للطباعة
سعيد جودة السحار وشركاه

« سيكون بعدى أمراء يقولون ولايرد عليهم ، يتقاحمون فى النار كماتتقاحم القردة »

حديث شريف

بعثة..



ـ يجب أن يسود لجنتنا العدل ، ولتكن هذه قاعدتنا .

رن الصوت فى قاعة الاجتماعات ، فالتفت كبار الموظفين الذين كانوا واقفين حلقات يتسامرون ،إلى مصدر الصوت . وأدارموظف كبير عينيه فى المكان ، يفرز الموجودين ، فلما اطمأن إلى أن من يريد أن يتحدث عنه لم يأت بعد ، تشجع وقال :

ـ اسمعوا ، يجب أن نصمد لصبحى بك ، وألا نوافقه على آرائه التى تتعارض مع آرائنا ، فمن العار أن يملى علينا إرادته فى كل لجنة .

وارتفع صوت :

ـ العيب عيبنا ، لماذا نوافقه على كل مايذهب إليه ، ونحن أغلبية أعضاء اللجنة .

وقال قائل :

ـ الحق أنه قادر على إقناعكم أن الأسود أبيض ، والأبيض أسود .

وقال شيخ تدل هيئته على أنه على شفا المعاش :

ـ الحق أقول لكم ، إننى أوافقه على كل مايقول لأريح رأسى، فلا فائدة ترجى من معارضته ، فهو لا يكل من الكلام ، ولا يتعب .

وارتفع صوت الاعتراض :

ـ حرام أن تضيع حقوق الناس ، من هو صبحى بك هذا الذى يدير كل لجنة على هواه ؟ إنه أحدثنا جميعا ، فينبغى ألاتكون له الكلمة العليا فى هذه اللجنة . يجب أن يكون هدفنا العدل ، ولا شىء غير العدل .

وارتفع صوت ساخر :

ـ كلام جميل ! كلام تمتلىء به هذه القاعة قبل انعقاد كل لجنة، وسرعان مايتبخر !

فقال الشيخ :

ـ أوافق .. أوافق .

وارتفع صوت الاعتراض

ـ لن أسمح بأى عبث فى هذه اللجنة . مصلحة الناس فوق كل اعتبار .

فصاح الشيخ :

ـ أوافق .. أوافق لأريح رأسى .

وتطايرت العبارات ، وبقى رئيس المستخدمين صامتا ، لاتنفرج شفتاه عن كلمة ، ولاح صبحى بك فى القاعة ، فألجمت

الألسن برهة ، ثم انطلقت ترحب به وتحييه .

واكتمل العقد الفريد ، والتف كبار الموظفين حول المائدة المستطيلة ، التى تتوسط القاعة ، وجلس صبحى شامخا بأنفه ، يستشعر تفوقا على أقرانه . وبدأت الجلسة ، وراح سكرتير اللجنة يقرأ ، والموظف الشيخ يهوم فى جلسته :

ـ درجة ثانية خالية فى ميزانية المصلحة ، مرشح للترقية عليها حضرة مدير المستخدمين .

وساد القاعة صمت ، وأسبلت الجفون ،ثم ارتفع صوت الاعتراض خافتا :

ـ ولكن حضرة مدير المستخدمين لم يمض فى درجته الحالية أكثرمن شهور .

وانبرى صبحى للدفاع :

ـ وهل هذا يمنعنا من طلب ترقيته ؟ ! درجة خالية وموظف كفء ، ما الذى تخسره المصلحة إذا ما رقى حضرة مدير المستخدمين ؟ إنه لذو كفاية ممتازة . أيشك أحدنا فى ذلك ؟

وساد القاعة صمت ، والتفتت الأنظار إلى صوت الاعتراض ، ولكنه لم يرتفع ، ولم تتحرك شفة ، فالتفت صبحى بك إلى سكرتيراللجنة ، وقال :

ـ الجميع موافقون . اكتب : وافقت اللجنة بالإجماع على الكتابة للوزارة بترقية حضرة مدير المستخدمين ترقية استثنائية ،

لكفايته الممتازة ، وخبرته الطويلة ، وحسن تصريفة للأمور .

ونظر إلى مدير المستخدمين ، فألفاه ينظر إليه شاكرا ، وعيناه تصيحان : لن أنسى لك هذا الجميل !

وقال صبحى بك للسكرتير :

ـ انتقل إلى الموضوع الثانى .

وراح سكرتير الجنة يقرأ :

ـ لدينا طلب من موظف فى الدرجة السابعة ، يلتمس ترقيته ، لأنه أقدم موظف فى هذه الدرجة .

وتكلم مدير المستخدمين ، فقال معترضا :

ـ إنه لم يتم المدة القانونية الواجب أن يقضيها كل موظف قبل أن يترقى .

فارتفع صوت يستفسر :

ـ ومتى يتم هذه المدة ؟

ـ بعد أسبوع .

فقال الصوت الساخر :

ـ أسبوع ! لا . لا . هذا كثير .

وقال مدير المستخدمين :

ـ أرى إرجاء هذا الموضوع إلى الجلسة القادمة .

وصاح صوت الاعتراض :

ـ لماذا ؟

ـ ليكون قد أتم المدة القانونية ، التى تخوله حق الترقية ، لا نريد أن نتوسع فى الاستثناءات .

ورن الصوت الساخر :

ـ أسبوع ؟ يستحق الترقية بعد أسبوع ؟ هذا استثناء صارخ .

ورنا مدير المستخدمين إلى صبحى بك رنوة توسل ، يستحلفه أن ينقذه من ذلك الذى يخزه من بعيد ، فالتفت صبحى بك إلى سكرتير الجنة وقال :

ـ اكتب : وافقت اللجنة بالإجماع على إرجاء هذا الموضوع إلى الجلسة المقبلة .. استمر .

وراح السكرتير يقرأ :

ـ البعثات : ترشح اللجنة الفرعية حضرة ممدوح فهمى أفندى للسفر إلى إنجلترا ، فى بعثة مدتها سنة ، يتخصص فيها فى إدارة...

وقبل أن يتم سكرتير اللجنة تلاوة العبارة ، ضرب صبحى بك النضد بجمع يده فى قوة ، ثم زأر :

ـ لا ..هذا لن يكون .. لا أوافق على هذا أبدا .. لتقطع يدى إن وافقت على هذا الرأى .

واتسعت العيون ، وعلقت بالوجه الثائر ، وخشعت القلوب ، وصبحى يزمجر :

ـ من يقول إن ممدوح فهمى يسافر ، ويترك بدوى سرحان ؟ !

أين ممدوح من بدوى ؟ لا ... حرام أن تهدر الحقوق على مذابح الشهوات . أريد أن أعرف من قال إن ممدوحا أجدر من بدوى ؟ !

فارتفع صوت الاعتراض واهنا :

ـ تقارير الرؤساء .

فلوى صبحى بك شفته ، وقال فى استخفاف :

ـ تقارير الرؤساء ! بالله دعونا من هذه التقارير ، فأنا أدرى الناس بها . دعونا إلا هتكت عنها حجابها . الحقيقة لاتعرف طريق هذه التقارير ، إنها مسألة استلطاف ، صداقة منفعة متبادلة .يجب أن نتجرد من أهوائنا ، إننا لانبغى إلا وجه الحقيقة والمصلحة العامة . ومن المصلحة أن يرسل بدوى ..

ـ حرام أن نقرن ممدوحا ببدوى .

فارتفع صوت الاعتراض :

ـ ولكن ممدوحا رئيس القسم ، وبدوى مرءوس له .

فقال صبحى فى حدة :

ـ هذه الأوضاع المقلوبة نهدف إلى إصلاحها .

فارتفع الصوت الساخر :

ـ أو هذه هى الأوضاع السليمة التى نبغى قلبها .. يعجبنى فيك دفاعك عن أصدقائك .

فارتفع صوت صبحى بك كالرعد :

ـ هذه إهانة لا أقبلها أبدا ، أتطعن فى ضميرى ، أتشك فى

نياتى ؟ إننى أنسحب من هذه اللجنة ، وأسجل احتجاجى .

وهم صبحى بك أن ينصرف ، فتعلقت به الأذرع ، وارتفعت أصوات الأعتذار:

ـ إنه لايقصد أهانتك ، إننا جميعا نضمر لك كل تقدير واحترام .

وجلس والكلمات تتدفق من فيه :

ـ ماكنت أنتظر أن أسمع هذا التعريض بى يوما ، إننى هنا أنسى كل شىء إلا المصلحة ، لافرق عندى بين عدو وصديق ، وقريب وبعيد . فأنا أبعد الناس عن الميل مع الهوى .

ورأى مدير المستخدمين أن الفرصة مواتية ، ليرد لصبحى بك جميله فقال :

ـ بدوى سرحان كفاية وأخلاق ، وإننى أرشحه للسفر .

ورن الصوت الساخر :

ـ من قدم السبت ...

وارتفعت الأصوات ، وامتزجت واختلطت ، وأنذر الجو بهبوب عاصفة عاتية ، ولكن الشيخ صاح وهو يغطى أذنيه براحتية :

ـ كفى أرجو منكم .. موافق .. موافق لأريح رأسى . وقال مدير المستخدمين :

ـ موافقون ،، إننا لانوافق إلا على مافيه مصلحة الدولة ، ومن مصلحة الدولة أن يسافر بدوى .

وارتفع صوت الاعتراض :

ـ ولماذا لايسافر ممدوح ؟

فقال صبحى بك فى حدة :

ـ هل لك مصلحة فى سفره ؟ من كان له مصلحة فى سفره فليقل لنا فى صراحة .

وخيم السكون ، وفتر الأعضاء، حتى الصوت الساخر لم يرتفع ، خافوا جميعا أن يتهموا بالغرض ، واهتبل صبحى بك هذه الفرصة ، فقال :

ـ كلكم موافقون ؟

فقال مدير المستخدمين :

ـ موافقون طبعا .

فالتفت صبحى بك إلى سكرتير اللجنة ، وقال :

ـ اكتب : وافقت اللجنة بالإجماع على إيفاد بدوى سرحان إلى إنجلترا فى بعثة تستغرق سنة ، ليتخصص فى إدارة ...

وارتفع صوت فيه تملق :

ـ لو كنت محاميا يا صبحى بك ، لكان النجاح حليفك .

ونظر إليه صبحى بك وهو يبتسم ، كأنما يقول له لن أنسى لك هذا التقريظ ، وقال الشيخ :

ـ الحق أقول لك ، إن خيرما نفعله أن نترك قرارات اللجنة لصبحى بك ونريح رءوسنا .

وانتهت اللجنة ، وانتثر العقد الفريد ، وخرج صبحى بك نشيطا ، وانطلق إلى سيارته ، وقال للسائق :

ـ إلى منزل بدوى سرحان . أسرع .

وراحت السيارة تنهب الأرض ، حتى إذا بلغت منزل بدوى سرحان هبط منها صبحى بك ، وراح يصعد فى الدرج عدوا ، ووقف أمام الباب يطرقه فى تتابع ، وماهى إلا لحظة حتى فتح الباب ، وظهرت امرأة جميلة جذابة ، فما إن رأته حتى انفرجت شفتاها عن بسمة ، وتألقت عيناها ببريق طغى على نظرات التساؤل ، وفسحت له الطريق ، فدخل وأغلق الباب خلفه ، وقال وهو يضمها إلى صدره فى حنان :

ـ انتهى كل شىء ، تخلصنا من زوجك ، وخلا لنا الجو سنة ، سيبعث بدوى إلى إنجلترا فى بعثة .

اللافتات في الحكومة



وضع عم أمين رجله لأول مرة على عتبة وزارة من الوزارات . ودخل وهو يتلفت فى وجل ، فما دخل وزارة أبدا ، فهو رجل تاجر ، وقضى عمره فى حانوته ، لايعرف الحكومة ، ولاتعرفه الحكومة إلا أن تطالبه بأداء ضرائبها ، فيدفع مايطلب منه دون اعتراض ، ويحمد الله على أنه انتهى من الحكام بسلام . والعم أمين رجل طيب لايعرف طريق مقر الشرطة أبدا ، فإذا طلب هناك لمخالفة من المخالفات ، انطلق مسرعا مضطربا ، يحوقل ويدعو الله أن يكشف عنه الغمة التى نزلت به ، فأبغض مايبغضه هوالاتصال برجال الحكومة ، فهو يعتقد أن الاتصال بهم بلاء يمتحن الله به عباده ،.

صعد العم أمين فى بضع درجات ، فراح قلبه يقفز فى صدره، وسمع رئيسا ينهر ساعيا من السعاة ، فغاص قلبه ، وأحس به يسقط فى رجليه ، فراح يلعن ذلك اليوم الأغبر ، الذى استولت فيه الحكومة على بضاعة من عنده ، فاضطر بعد أن انقضت أشهر دون أن يغلم عن بضاعته شيئا ، أن يجىء للمطالبة بثمنها ، وما كان يدور بخلده أن الحكومة العظيمة لاتفترق عن زبائنه من الموظفين الذين يروغون أشهرا عن دفع ماعليهم ، وكان يحس أن

المبلغ سيدنع له عقب تسلم البضاعة فورا ، ولكن الأيام مرت والمبلغ نائم فى خزانة الحكومة فى الأمن والصون .

انطلق العم أمين فى ممر طويل ، وراح يتذكراسم القسم الذى أخبروه أن يستفسرمنه عن مآل ماله ، فتذكر اسمه ، ولمح ساعيا يرتدى ملابس صفراء زينت بأزرار نحاسية صفراء لامعة ، فتقدم منه فى تهيب ، وسأله فى أدب :

ـ قسم الصرفيات من فضلك !

فأشار الساعى إلى حجرة فى نهاية الممر بكبرياء ، ولم يفتح فمه بكلمة ، كأنما يخشى أن تفر اللآلىء من فيه إذا مافتحه ، فشكره العم أمين ، وانطلق فى الممر وهو يغمغم :

ـ مالنا وقسم الصرفيات ، كنا فى محلنا مكرمين ، وكانت بضاعتنا عندنا ، ولكن ما باليد حيلة ، هكذا شاء الله ، والحمد الله الذى لايحمد على مكروه سواه .

وبلغ الحجرة التى أشار إليها الساعى ، و رأى على جانبها لافتة نحاسية كتب عليها « قسم الصرفيات » وهم بالدخول ، ولكنه رأى لافتة كبيرة على الباب بخط كبير : « ممنوع الدخول ، بأمر سعادة وكيل الوزارة » ، فنظر العم أمين إلى اللافتة فى ذهول وسأل نفسه : من أين نصرف مالنا إذا كان الدخول ممنوعا » ؟ وراح يذهب ويجىء أمام الغرفة فى تبرم وضيق ، وهم أكثر من مرة بأن يعود من حيث أتى ، ولكنه تذكر أنه دائن للحكومة بأكثر من ألف

جنيه، منذ أكثر من ستة أشهر ، فكيف يعود وقد أخبره الموظفون من زبائنه أنه إن لم يجر وراء المبلغ ويطالب به ، فسيصله بعد سنوات إن شاء العلى القدير ، وراح يفكر فيما كان يفعل لو أن المبلغ كان رأس ماله كله ، أكان يغلق حانوته ، ويعلن إفلاسه ، ويقدم دفاتره ؟ وماتذكرهذا حتى ازداد غيظه ، وعزم على اقتحام باب قسم الصرفيات ، وليكن مايكون ، ولتفعل به الحكومة ما تشاء .

وهم بدفع الباب ، ولكن خانته شجاعته ، وتعوذ بالله من الشيطان الذى وسوس له بدفع باب الحكام بلا استئذان ، ورأى فراشا جالسا بالقرب من الباب ، وقد أغفى إغفاءة خفيفة ، فتقدم منه وهمس ، خشية أن يزعجه ،أويكدر مزاجه الرقيق : « من فضلك » فرفع الفراش عينين محمرتين وزام : « هيه » فقال العم أمين فى رقة :

ـ لى مبلغ بسيط هنا ، وأحب أن ...

وقبل أن يتم العم أمين حديثه ، قال الفراش :

ـ ادخل سل الـ ...

وعاد إلى إغفاءته ثانية ، وراح العم أمين يتطلع إلى اللافتة الكبيرة ، التى تحرم الدخول بأمر سعادة الوكيل ، وهم أن يهز الفراش ، ليشير له إليها ، ولكنه دفع الباب ودخل ، وقد أطمأنت نفسه بعض الاطمئنان ، فما كان يظن أن معضلة الدخول تحل هكذا

سريعا ، ووجد نفسه فى حجرة طويلة ، قد رصت المكاتب على جانبيها ، وجلس فى الصدر رجل كبير ، أبيض الشعر ، فنظر إليه، وقع نظره على لافتة فوق رأس الرجل ، كتب عليها بخط جميل كبير : « وقتنا للعمل » ، وكان الرجل غارقا فى قراءة صحيفة من صحف الصباح ، فأدار العم أمين عينه فى المكان ، فرأى اثنين جالسين على مكتب واحد يتناولان الإفطار، وآخر يرشف من فنجانه قهوة ، ويشد أنفاسا من سيجارة أمامه ، ومكتبين خاليين ، واستقرت عيناه ثانية على اللافتة ، وأعاد قراءتها : « وقتنا للعمل» ، فعجب وسار إلى الرجل الكبير ، حتى إذا بلغ مكتبه ، وقف صامتا ينتظر أن يفرغ الرجل من قراءة الصحيفة التى فى يده ، واستمر الرجل فى القراءة ، وانقضى وقت كبير ، فضاق صدر العم أمين ، ولكنه كظم غيظه ، وأخيرا وضع الرجل الصحيفة على المكتب ، واعتدل فى كرسيه ، فاطمأن العم أمين ، فقد فرغ له ، وهم بالسؤال ،ولكن الرجل قال : « والله هذا أمر عجيب » . فارتجف العم أمين ، وظن أن الر جل سيوبخه على اقتحامه الغرفة المقدسة ، فهم بالفرار ، ولكن الرجل استمر فى حديثه :

ـ أمر عجيب حقا ، كان معى حتى التاسعة مساء صحيحا معافى ، وأقرأ نعيه فى الصباح ! مسكين إسماعيل بك ، كنا زميلين فى المدرسة وسافرنا إلى السودان معا ، وابتدأنا فى درجة واحدة ، ولكنه كان محظوظا فقفز وقفز ، ورسبت أنا فى القرار ،

مسكين إسماعيل بك ، بل المسكين أنا بل المسكين هو ، فما أخذ معه شيئا ، والله ليخيل إلى أن الدنيا تخدعنا جميعا ، كنا أنا وإسماعيل بك ...

واستمر يقص قصته ويعيد ، وانقضى نصف ساعة أو يزيد ، والعم أمين يتميز غيظا ، وما زاد فى مضايقته أنه كان مضطرا إلى مجاراة مرءوسى الرجل الذى كان يقص ، فكان يهز رأسه مثلما يهزون ، ويبتسم عندما يبتسمون ، ويمصمص بشفتيه مثلهم عندما يمصمصون ، وانتهى الرجل من قصته المملة ، ونظر إلى الواقف أمامه فى عجب ، كأنما لم يره قبل الساعة ، وسأله :

ـ نعم .

فابتدأ العم أمين فى سرد قصته بنبرات مرتعشة بعض الشىء:

ـ استولت الحكومة من ستة أشهر على بضاعة من ..

فأشار الرجل إلى مكتب بالقرب من الباب ، وقال :

ـ هناك .

واتجه العم أمين إلى المكتب المنشود ، فألفى موظفا غارقا فى ملفات كثيرة ، لايكاد رأسه يظهر منها ، وقد علق خلفه لافتة كتب عليها « ممنوع الاستعلامات » ، فوقف برهة لا يجرؤ على أن يحرك ساكنا . وقام الموظف دون أن يلتفت إلى الواقف أمامه ، وانطلق إلى التليفون ، وأدار قرصه ، وراح العم أمين يرقبه ، فألفى أساريره تنبسط ، ثم يبتدىء فى الحديث :

ـ آلو .. لولو ... صباح الخير يا لولو ... أين كنت بالأمس ؟ كنت فى جهنم ... جهنم الحمراء ... ها ، ها ، ها ، ... لافرق بين البلد وجهنم ... لاأطيق البعد عنكم يا روحى .

ووقع نظر العم أمين على لافتة جميلة فوق التليفون . كتب عليها : « للمحادثات المصلحية فقط » ، وعاد الموظف إلى مكتبه بعد انتهاء المحادثة المصلحية الهامة ، فابتسم العم أمين له ابتسامة عريضة ؛ ولكنه لم يلتفت إليه ، وجلس يقلب فى الأضابير المكدسة أمامه فى إهمال ، وعيل صبر العم أمين ، فتشجع ونطق :

ـ تسمح ياسعادة البك .

فاعتدل البك فى جلسته ، وقال فى غطرسة :

ـ أفندم .

فقال العم أمين فى أدب :

ـ استولت الحكومة من ستة أشهر على بضاعة من عند محسوبك عبد العال ، وجئت لأستفسر عن ...

ـ سل فى قسم المحفوظات .

خرج العم أمين ينفخ غيظا ، ويلعن اليوم الذى اضطره إلى مقابلة السادة الكرام ، وراح يسأل عن قسم المحفوظات ، فدلوه عليه ، فانطلق حتى بلغه ، فرأى على بابه لافتة من اللافتات العتيدة ، كتب عليها : « ممنوع الدخول » فلم يأبه لها ، فقد علم أن اللافتات فى الحكومة ككشف التسعيرة عند التاجر لابد من

تعليقه ولايعمل به ، فدفع الباب ، ودخل ، فوجد أناسا كثيرين يتخطفون ملفات كثيرة ، والتفت إلى جواره ، فرأى لافتة كتب فيها : « ممنوع منعا باتا أخذ ملفات » ، وخطر له خاطر ، فأخرج من جيبه قلما وأضاف : « بأمر سعادة وكيل الوزارة » ، وابتعد عن اللافتة ، وراح يقرؤها من بعيد ، وقد أحس ارتياحا ، وغمغم : «هكذا أفضل ، فقد أصبحت لافتة كاملة » ، وانطلق يتفرس فى وجوه الموظفين الكثيرين الذين يعملون فى هذا القسم الكبير ، فوقع نظره على أحد زبائنه ، فأسرع إليه ، وحياه ، فنهض الموظف، وبش فى وجهه . وقال :

ـ ما جاء بك إلى هنا ياعمى أمين ؟

ـ لى موضوع بسيط ، فقد استولت الحكومة من ستة أشهر على بضاعة ، ولم أقبض ثمنها حتى الآن .

ـ انتظر حتى أعود .

وقام الموظف ولم يغب طويلا ، وعاد وقال للعم أمين :

ـ الأوراق أمام السكرتيرالمالى .

ـ متشكر ، وهل تتأخر الأوراق عنده كثيرا ؟

ـ المسألة مسألة حظوظ .

ـ إن كانت مسألة حظوظ فلنطمئن ، وليعوضنا الله خيرا فى مالنا .

فضحك الموظف وقال :

ـ اطمئن سيصلك (شيك) قريبا .

وسلم العم أمين وخرج . وقد عزم على العودة من حيث أتى ، وفيماهو يقطع الممر الطويل ، وقع نظره على لافتة كتب عليها: «السكرتير المالى » . فوسوس له شيطانه : « لم لايدخل على السكرتير المالى ويرجو منه أن ينهى أوراقه المعطلة » ؟ وأعجبته الفكره ، فيمم صوب الغرفة ، ووقع بصره على اللافتة العتيدة «ممنوع الدخول » ، فابتسم ونظر إليها ، كأنما يقول لها : « إنى أدرى الناس بقيمتك » واندفع صوب الباب ، ودفعه ودخل ، دون أن يلتفت إلى الساعيين الواقفين بالباب ، وقبل أن يقطع فى الغرفة خطوات أحس يدين توضعان على كتفيه وتجذبانه إلى الخارج ، ولما صار فى الممر ، أخذ هذا يدفعه فى صدره ، وذلك يجذبه من كتفه ، وهذا يصيح :

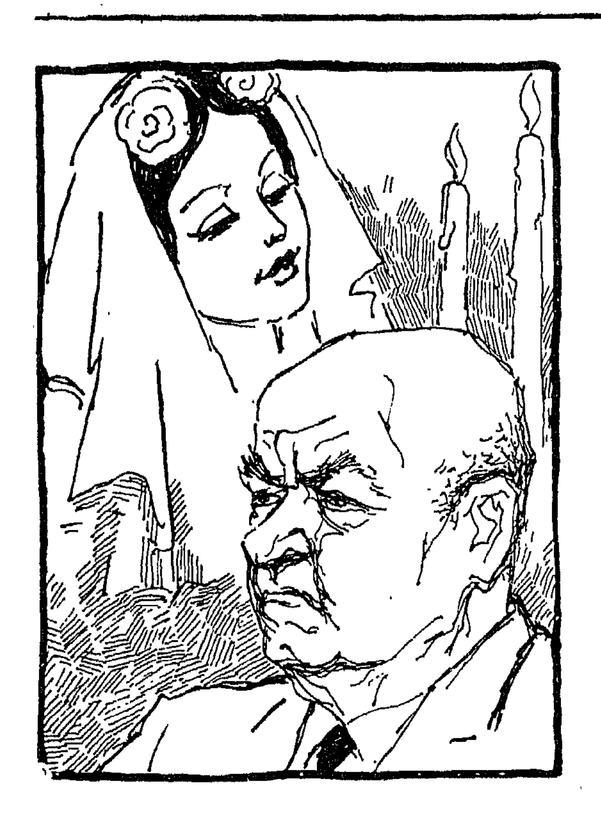
ـ أوكالة هى ؟

وذاك يهتف :

ـ كيف تقتحم الباب وتدخل بلا استئذان ؟

وتحمل الإهانات صابرا ، وما أن واتته فرصة الزوغان حتى انفتل . وترك الوزارة وهو يعجب فى نفسه أشد العجب من الحكومة ولافتات الحكومة .

لو عرف السبب



راح همت بك مدير المصلحة يمر على المكاتب ، فلاذ الموظفون بالسكون ، وانهمكوا فى عملهم ولم يعودوا يسمع لهم ركز ، وأخذ كل موظف يدعو الله فى سره ، أن يتم مرور المدير على خير ، فهو رجل قاس لايعرف رحمة ولاشفقة ، ظالم لايعرف عدلا ، وقد كانت أحكامه جميعا تصدر عفو الخاطر ، ومن وحى الساعة ، فما كان يستقصى أمرا ، ولا يحاول أن يتحرى حقيقة ، وإنهم ليذكرون يوم تشاجر موظفان فى أول عهده ، ومثلا أمامه ومعهم شاهد ، فما سأل عن شىء ، ومااستفسر عما حدث ، ومادرى من الجانى ؟ ومن المجنى عليه ؟ ومن الشاهد ؟ بل أشار إليهم حسب ترتيبهم ، وقال:

ـ خصم يوم ، خصم يومين ، خصم ثلاثة أيام . تفضلوا .

ولم يسمح لهم بالكلام ، وخرجوا من حضرته وقد خصم من الشاهد ثلاثة أيام بلاذنب جناه ، أوجريرة له إلا المثول بين يدى المدير العادل . وإنهم ليذكرون يوم كسر موظف سماعة التليفون ، فأمر بخصم ثمنها من موظف آخر كان يحدث جلبة فى المكتب ، وإنهم ليذكرون له أحكاما عدة ، لاتختلف فى كثير ولاقليل عن

أحكام قرقوش سلفه العظيم ، لذلك أطلقوا عليه « المدير قرقوش » وما كانوا يجرءون أن يجهروا بهذا اللقب فيما بينهم ، خشية بطش قرقوش بهم ، بل كانوا يهمسون به ، وهم يتلفتون حذرين .

ولم يفكر موظف واحد فى أن يرفع إلى قرقوش العظيم ظلامة أو شكاية ، فقد كانوا يفضلون ذل الظلم على الوقوف بين يديه ، خشية أن يقع بهم حيف آخر ، فيكونون كالمستجير من الرمضاء بالنار ، فكانوا يحمدون الله على ماهم فيه ، ويسألونه أن يبعد عنهم أذاه .

وكان همت بك أبيض الوجه ، مورد الخدين ، ممتلىء الجسم ، كبير الرأس ـ فارغة ولاشك ـ وكان مؤخر رأسه منبطحا ، وصوته عاليا ضخما ، لايتحدث إلانترا وعجرفة ، لايخطىء اثنان فى أنه من أصل تركى ، ولم يكن بينه وبين أحد مرءوسيه تبادل احترام ، وكان احترام مرءوسيه له احترام الفأر للقط ، فإذا نادى أحدهم تفككت أوصاله وحوقل وانطلق يسأل الله السلامة . فإذا ما انقضت المقابلة بسلام ، تشهد وحمد اله على النجاة .

وتم مرور همت بك ، فتنفس الموظفون الصعداء ، وأحسوا كأن حملا ثقيلا أزيح عن صدورهم ، وانقضى ميعاد العمل ، وعاد همت بك إلى الدار ، فقابلته ابنته « سعاد » بالبشر والترحاب ، فأخذ يداعبها ، ويبش لها ، ويحنو عليها ، ولو رآه مرءوسوه مع سعاد لما صدقوا أعينهم ، ولبان فى وجوههم العجب ، فما كانوا

يقدرون أن له قلبا ، وماكانوا يحسبون أنه يحس حبا وبغضا ، فكيف بهم لوعلموا أن له قلبا يفيض حبا ، ويتدفق حنانا ؟ !

كانت سعاد فتاة بيضاء البشرة ، زرقاء العينين ، ذهبية الشعر، ناهدة الصدر ، ولولا أبوها وخشونته مابقيت بلا زواج حتى الآن . تولى أبوها تربيتها بعد أن ماتت أمها من خمس عشرة سنة، فما تزوج من أجلها ، وفرغ حياته لها ، فقد كانت كل ما له فى الدنيا ، وكان أمله الوحيد فى الحياة أن يراها سعيد ة راضية .

خلع ملابسه ، واتجه إلى غرفة السفرة ، وجلس يرقب سعاد وهى تعد الغداء ، فخطر فى باله خاطر : لقد أينعت وحان قطافها، ألايتقدم أحد ليطلب منه يدها ؟ ولكن من ذا الذى يتقدم ولا أصدقاء له ولامعارف ؟ وحتى لو تقدم إليه من لايعرفه ، فكيف يوافق على تزويجها منه ؟ قد يجعل حياتها جحيما ، وهو لايرجو لها إلا حياة زوجية هنية . فعليه أن يعد لها هذه الحياة ، ولكن كيف ؟ واستمر فى تفكيره ، وانتهى الغداء ، واتجه إلى مخدعه وتمدد ، وأخذ يفكر فى سعاد ، وأمر سعاد ، وأخيرا عن له رأى ، لم لا يبحث لها عن زوج بين مرءوسيه ؟ إن ذلك أمرهين ولاشك ، سيفرح المرءوس بمصاهرته ولاريب ، ولن يستطيع أن يذل سعاد ، أو يغضب سعاد . وأعجبته الفكرة وكاد يرقص لها طربا ، ولكنه تذكر أنه لايعرف مرءوسا بعينه يصلح لها ، وإنه لايعرف حتى أسماء موظفيه ، وأن علاقته بهم علاقة جافة ، لا ثقة فيها ولا

اطمئنان ، فإن أراد أن يصطاد زوجا لها ، فعليه أن يخفض لهم جناح الذل من الرحمة ، وأن يتقرب منهم ، ويتودد إليهم ، وإن كان ذلك يتجافى مع طبعه ، فليرض نفسه إكراما لسعاد .

وفى صبيحة اليوم التالى ، مر همت بك فى المكاتب ، وراح يبتسم لمرءوسيه ، وأخذ يجاذبهم أطراف الحديث ، وكان يتطلع إلى يد كل منهم ، فإن رأى فى يد أحدهم خاتم الزواج تركه ، وإن رآها خالية منه ، وقف يحادثه ، ويسأله عن اسمه ومؤهلاته ودرجته ، ومرتبه ، وأخذ يلاطف هذا ، ويداعب ذاك ، بين دهش الموظفين وعجبهم ، ولو أن السماء انطبقت على الأرض ، ولو أن الشمس أشرقت من الغرب ، ما عجبوا عجبهم لتغيره ، وتبدله . وانصرف إلى مكتبه ، وجعل الموظفون يتساءلون عما دهاه ، وعما طرأ عليه، فلم يجدوا لتساؤلهم جوابا .

وفكر همت بك فى أن يأدب لمرءوسية مأدبة . ولكن لم هذا التبذير ؟ وما فائدة دعوة المتزوجين ؟ فليقصرها على العزاب . ولكن هؤلاء العزاب أيضا لايصلحون كلهم لسعاد . فليقصرها على الصفوة المنتقاة . وكتب كشفا بأسماء العزاب الشبان ذوى المؤهلات الحسنة ، والذين يتناولون مرتبا طيبا ، ونادى رئيس القسم ، وقال له :

ـ لقد رأيت أن خير ضمان لحسن سير العمل ، هو الثقة المتبادلة بين الرئيس ومرءوسيه ، لذلك فكرت فى أن أدعو بعض

الموظفين لتناول الغداء عندى . كان بودى أن أدعو الجميع ، ولكن ضيق البيت يحول دون ذلك ، وقد اخترت بعض الموظفين لدعوتى الأولى ، وهاهى ذى أسماؤهم .أرجوأن تبلغهم دعوتى .

ـ إنها سنة حميد ة ياسعادة البك .

وراح يشيد بأفضال البك على المصلحة والموظفين ، وراح يكيل له المدح والثناء بلسان المداهنة والرياء .

تغير همت بك ، وأصبح ينظر إلى مرءوسيه بنسبة صلاحية كل منهم لسعاد ، فكان يحب هذا لأنه يصلح لها ، ويحب ذاك لأنه يصلح أيضا لها، ولايحب ثالثا ، لأنه لايصلح لها أصلا ، وقد خرج المتزوجون من دولته ، فأصبحوا محرومين من عطفه ورعايته .

وفى ذات يوم ، وفد على المصلحة موظف جديد ، حسن الهيئة ، فى الثلاثين من عمره ، على أقصى تقدير ، يدل مظهره على الغنى ، وما إن رآه البك المدير حتى انشرح له صدره . وسأله عن اسمه ومؤهلاته ومرتبه وانتهى الحوار بينهما ، وقد اقتنع المدير أنه الزوج المرتقب ، هبط عليه من السماء ، فما أرحم السماء !

والتفت إلى الشاب وقال له :

ـ سأعينك يافتحى أفندى سكرتيرا لى . أرجو أن تكون عند حسن ظنى بك .

ـ أشكر لك تكرمك على ، سأبذل كل ما فى وسعى ، لأكون أهلا لثقتكم الغالية .

وأصبح فتحى سكرتيرا لهمت بك ، الذى اطمأن لوجود الصيد بالقرب منه ، فأهمل أمر الصفوة المختارة من موظفيه ، وعاد إلى طبعه الأول : شدة متناهية ، وأحكام قاسية ، فقد عاد قرقوش إلى حكمه .

وفى يوم دعا سكرتيره العزيز إلى زيارته فى البيت ، فلبى فتحى الدعوة مسرورا ، ودخل حجرة الإستقبال ، وتجاذبا أطراف الحديث ، ولمح فتحى باب الغرفة مفتوحا ، فنهض وأغلقه ، فابتسم البك ، وقال له :

ـ دعه يافتحى أفندى أنت فى دارك ، وبين أهلك .

ـ هكذا أفضل ، إنى من أسرة محافظة ، اعتدنا إغلاق الأبواب على الضيوف .

ـ وإنى محافظ يافتحى أفندى ، ولاأحب إلا المحافظين .

واستأنفا حديثهما ، فراح همت بك يتحدث عن الفتيات وتربيتهن .

فقال فتحى فى هدوء :

ـ أعتقد أن المنزل هو خيرمدرسة للفتاة ، ماضرورة دخولها الجامعة؟ لن تستفيد منها بقدر استفادتها من المنزل ، فهى للبيت أولا وأخيرا.

ـ أنت على حق يافتحى أفندى . أرادت سعاد ابنتى أن تلتحق بالجامعة ، فلم أوافق على ذلك ، وأبقيتها فى البيت . إنها سيدة

بيت من الطراز الأول .

وتوطدت أواصرالصداقة بين المدير وسكرتيره ، وأصبحا لايفترقان أبدا . وفى يوم تناول فتحى مجلة أسبوعية ، وأخذ يقلبها ، فرأى فتيات بلباس البحر على الشاطىء ؛ فالتفت إلى همت بك ، وقال :

ـ والله إنى لأعجب لأولياء أمور الفتيات ، كيف يرضى الأب لابنته ، أو الزوج لزوجته ، أن تظهر أمام الناس فى مثل هذا اللباس ؟ ما الذى بقى للزوج ليراه ، مما لم يره الناس ؟

ـ هذا دليل ضعف الآباء والأزواج ، وانفلات زمام زوجاتهم وبناتهم من أيديهم ، إنى حرمت الإسكندرية على نفسى ، حتى لاتقع عين سعاد على مثل هذه المناظر المشينة .

ـ ليت كل الآباء مثلك ، وليت كل الفتيات مثل سعاد هانم ، إذن لما شكونا انحلالا وانحطاطا .

فبان السرور فى وجه همت بك ، وشاعت الطمأنينة فى نفسه ، لقد اقترب الصيد من الفخ ، ولن ينتهى هذا الشهر حتى تكون خطبة سعاد من فتحى قد أعلنت .

جلس همت بك فى مكتبه ، واستدعى مدير المستخدمين ، وأمره أن يطلب من الوزارة ترقية فتحى أفندى ، لما أظهره من كفاية وهمة ونشاط . وانصرف مدير المستخدمين ، وغرق همت بك فى بحر من الأحلام اللذيذة ، فها هى سعاد فى ثوب الزفاف

الأبيض، وها هو ذا فتحى فى بذلته السوداء . وأفاق من حلمه ، وتناول ورقة وقلما ، وراح يكتب أسماء من سيدعوهم إلى حفلة الزفاف « معالى الوزير .. سعادة الوكيل ... سعادة الوكيل المساعد ... مدير ادارة .. » .

وتقابلا كعادتهما فى العصر ، وما كاد فتحى يستقر ، حتى التفت إلى البك وقال :

ـ أستأذن فى الإنصراف .

ـ هكذا سريعا ؟ ولم يافتحى ؟

ـ زوجتى مريضة ، وسأعرضها عل الطبيب .

فأحس همت بك كأنما لدغته عقرب ، فصاح مفزوعا :

ـ زوجتك ؟ تقول زوجتك ؟ ... أنت متزوج ؟ لم لم تقل لى ذلك ؟

فقال فتحى فى دهش :

ـ وماذا فى ذلك ؟

وأحس همت بك شذوذ موقفه ، فكظم غيظه ، وقال فى نبرات حاول أن تكون هادئة :

ـ لاشىء ... لاشىء .. لو أنك قلت أنك متزوج . لرددنا لك زيارتك .

وخرج فتحى ، وبقى همت وحده يتميز غيظا . وانقضى الليل كأسوأ مايكون ليل ، وما إن طلعت شمس اليوم التالى ، حتى خرج

همت بك إلى المصلحة ، وطلب من مدير المستخدمين ، وأمره أن يمزق طلب ترقية فتحى أفندى ، وأن يطلب نقله إلى مصلحة أخرى.

وجاء فتحى ، ودخل على المدير ليحييه تحية الصباح فقال فى رقة :

ـ صباح الخير ياسعادة البك .

فصاح همت بك فيه :

ـ اخرج ، اغرب عن وجهى ، أنت منقول . سامع .. أنت منقول..

وخرج فتحى وهو مذهول ، لايدرى سبب غضب المدير عليه، وأطرق همت بك يفكر فى سكرتير جديد ، وشبح سعاد يتراءى لعينيه .

وفاء..



ـ ١ ـ

مكتب حكومى متواضع الأثاث ، به كوة واحدة عالية لا تجرؤ الشمس على النفاذ منها ، لولا المصباح الكهربى الوحيد المتدلى من السقف ، وبضاء فى وضح النهار ، لما عرف بياض من سواد . وبالقرب من الباب الصغير ، الموصل إلى غرفة رحبة بها مكتب فاخر وبعض الرياش ، وضع نضد بسيط كلح لونه ، وتكدست فوقه أضابير وأوراق ، وجلس خلف النضد شاب عكف على عمله فى جد وصمت . وكان يرفع رأسه بين وقت وآخر ، فيبدو فى وجهه الأسمر الدقيق ، الطمأنينة والثقة بالنفس .

وفتح الباب الصغير ، ودلف منه رجل طويل عريض مهيب ينتزع منظره الاحترام من الناس ، ولكن ما إن أقترب من الشاب الضاوى المكب على عمله فى صمت ، حتى انفجرت شفتاه ، وقال فى رقة :

ـ صباح الخير يا مصطفى ، أظن أنه لا يزال أمامك عمل كثير؟

ـ سينتهى كل شىء اليوم .

ـ إننا ما نكاد ننتهى من عمل حتى نرهق بعمل آخر .

ـ لا بأس .

ـ شكلت عدة لجان لدراسة أحوال المصلحة ، واقتراح وسائل النهوض بها وقد انتخبونى عضوا فى لجنة من اللجان الفرعية ، وأحب أن نتباحث فى هذا الأمر .

ـ دع لى هذا الموضوع ، وسأقدم لك مذكرة وافية بعد أن أدرسه .

فرمقه الرجل بطرف عينه ، وقال :

ـ ولكن اللجنة ستعقد غدا لأول مرة برياسة وكيل الوزارة ، وأحب أن أكون الوحيد الذى يقدم مقترحاته فى أول جلسة .

ـ سأقدم لك المذكرة غدا صباحا .

ـ حقا ؟

فأومأ مصطفى برأسه ، وانسحب حسين إلى مكتبه . وأستأنف مصطفى عمله فى صمت ، وما كان يعكره من وقت لآخر إلا صوت حسين وهو ينهر هذا ويزجر ذاك فقد كان رئيس القسم .

ـ ٢ ـ

جلس مصطفى إلى مكتبه فى داره يدون آراءه ، فأخذ الوقت يمر ، وتقضت من الليل ساعات ، وظل غارقا فى عمله ، لا يحس تبرما أو ضيقا ، وراح يسود الصفحات فى نشوة . وانتهى من التقرير ، فوضع القلم ، وأحس جمودا فى أصابعه فجعل يحركها . وتثاءب ، ثم تمطى ، ودقت الساعة معلنة انقضاء ساعة بعد انتصاف الليل ، فانطلق إلى فراشه راضيا مغتبطا .

وطلع النهار ، فهرع إلى عمله يحس حرارة فى صدره . وما فتح باب مكتبه المظلم ، حتى لمح حسينا منتصبا عند الباب الضيق، الفاصل بين الحجرتين ، فأدار الذر الكهربى واتجه إلى حسين، وهو يحييه ، ثم رفع إليه التقرير الضخم فتناوله وقد انطلقت أساريره ، ثم دار على عقبيه ، وغاب فى حجرته ، وعاد مصطفى إلى مكتبه يعمل صمت .

وانقضى النهار ، وشطر من الليل ، وطرق طارق باب مصطفى، فنهض ليفتح للزائر ، فوجد حسينا عند الباب متهلل الوجه ، وراح يقول فى فرح ظاهر :

ـ ما كنت أظن أن يتم كل هذا فى أول جلسة ... اجتمعت جميع اللجان اليوم برياسة وكيل الوزارة ، وشرح عمل كل لجنة ، ولما انتهى من حديثه ، سأل :

ـ هل عند أحدنا اقتراح ؟

فقدمت له التقرير ، فراح يتصفحه هنيهة ، ثم ظهر عليه الاهتمام ، فطفق يقرؤه فى امعان ، وما انتهى من قراءته حتى قال

ـ عظيم ! آراء سديدة ، ومجهود موفق ، أرى أن تناقش اللجنة الرئيسية هذا التقرير ، وأن يضم حسين بك إلى هذه اللجنة.

وصمت حسين هنيهة ، وأحس مصطفى راحة تغمره . وموجة من الرضا تسرى فيه ، وظل كل منهما ينعم بإحساساته فترة ، ثم قال حسين :

ـ ولكن ذلك يزيدنا إرهاقا ، ويحتم علينا مضاعفة الجهود .

ـ لا بأس ، مادمنا نجد تقديرا لهذه الجهود .

ـ طلب منا سعادة الوكيل تقارير مفصله عن بعض الحالات .

وجعل يشرح ما طلبه سعادة الوكيل ، ومصطفى يصغى إليه، ولما انتهى قال :

ـ والآن أنصرف حتى لا أعطلك عن العمل ، ولا تنس يا مصطفى أنى أحب أن أكون سباقا .

وخرج حسين ، وأخذ مصطفى ينجز فى سكون الليل ما طلبه سعادة الوكيل .

- ٣ -

وكرت الأيام تعقبها الشهور ، والجنة تعقد الجلسات ، لتقرأ ما اقترحه مصطفى ، وتألق نجم حسين ، فقد كان سباقا دائما ، ووثق فيه سعادة الوكيل ، ونوه بنشاطه ، وضمت إليه أقسام جديدة ، فازدادت غرفته أناقة ، وازدانت بآيات قرآنية ، وأحاديث نبوية أحيطت بإطارات مذهبة بديعة ، وبصورة زيتية كبيرة رائعة للملك ، وبقى مصطفى يعمل فى غرفته فى جد لخلق رجل ....

وفى يوم من الأيام توجه حسين بك كعادته إلى دار مصطفى، وكان يكرمه بزيارته ، وقال له :

ـ حدث اليوم أمر عجيب .

ـ ماذا ؟

ـ ضمنى سعادة الوكيل للعمل معه فى اللجنة العليا للزيوت .

ـ وما العجب فى ذلك ؟

ـ إنى لا أدرى شيئا عن الزيوت ...

ـ اطمئن ، بالبحث والاستقصاء نبلغ ما نريد .

وخرج حسين بك ، وبقى مصطفى يبحث وينقب ، ويدون

المذكرات ، حتى إذا ما ألم بأطراف الموضوع واستوعبه ، راح يكتب تقاريره الوافية الجامعة ...

وزقى حسين بك ، وأصبح ثانى أثنين فى المصلحة ، ففرح مصطفى واغتبط ، كان يشعر فى قرارة نفسه بأن هذه الترقية ثمرة جهده ، وسره أن تلقى آراؤه كل هذا التقدير .

وترادفت الشهور ، وانقضت سنوات ، ومصطفى فى غرفته المظلمة المنعزلة نهارا ، وفى داره ليلا يقوم بأعمال حسين بك . وفى يوم ضاحك صار سعادة الوكيل معالى الوزير ، فابتسمت الدنيا لحسين بك ، وأصبح مدير المصلحة .

وغص مكتب المدير بوفود المهنئين ، وانطلق الموظفون إلى المكتب المحسود ليعبروا عن ولائهم وسرورهم ، وذهب مصطفى ليهنىء حسين بك ، وهو يحس احساس الفنان الذى أبدع آيه فنية، حازت الإعجاب والتقدير .

وبلغ مكتب المدير ، فأحس رعدة خفيفة تسرى فى بدنه ، ووقف قليلا مترددا ، ثم دخل مع الداخلين . وهنأ حسين بك فى حرارة ، وخرج وقد غمرته نشوة عارمة ، وشاعت فى صدره الطمأنينة ، ولفه السرور

ـ ٤ ـ

ومرت أسابيع ومصطفى قابع فى غرفته ، لا يبعث حسين بك فى استدعائه ، أو يكلفه عملا مما اعتاد أن يكلفه إياه ، وفى ذات يوم أقبل عليه الساعى وقال له :

ـ مدير المستخدمين يطلبك .

ونهض مصطفى وهو يفكر ، لم طلبه مدير المستخدمين ؟ لعل حسين بك رأى أن ينقله إلى مكتبه ، أو لعله أمر بإسناد إدارة هذا المكتب إليه ، وفكر فى أنه سيصبح مدير مكتب سعادة المدير ، فلم يستخفه الطرب ، فقد كان فى قرارة نفسه يعتقد أنه كفء لهذا العمل ، بل لعمل أهم من هذا .

انطلق فى خطوات وئيدة ، ودخل مكتب المستخدمين ، وحيا الرجل ، فرد عليه الرجل تحيته بهزة خفيفة من رأسه ، ولم يلمح فى وجهه الجاف بشاشة البشرى ، فلم تتكدر نفسه واقترب من الرجل وقال :

ـ أفندم ؟

فقال الرجل دون أن يرفع وجهه عن الأوراق الموضوعة أمامة :

ـ نقلت يا مصطفى أفندى إلى مصلحة أخرى ، بناء على طلب سعادة المدير ...

واستمر الرجل فى كلامه ، ولكن مصطفى لم يسمع شيئا ، فقد أحس الدم يصعد حارا إلى وجهه ، ودويا فى أذنيه ، وجفافا فى حلقه ، وخرج من الغرفة ضيق الصدر ، يكاد يتميز من الغيظ، وسمع صوتا آتيا من أغوار نفسه يصرخ فيه :

ـ ما أغباك ! كيف لم تفطن إلى أن مهمتك قد انتهت ، لم يعد سعادة المدير فى حاجة إلى من يفكر له ، سيفكر له الجميع ، ولن يحتاج إلا إلى التوقيع بإمضائه الكريم ، وهو أجمل شىء فيه . إن رؤيتك قد تعكر عليه صفو هنائه الجديد ، فكان حتما إزالتك من الطريق .

ولمح مكنسة طويلة مرتكزة إلى الحائط ، فخطر له أن يتناولها ، وأن يقتحم بها باب المدير ، ليحطم بها حسين بك ، كما حطم بيجماليون تمثاله الفريد ، ولكنه التفت خلفه ، وبصق بصقة فى حنق شديد ...

نخوة ..



ولد فهمى من أبوين ريفيين ، ومات أبوه وهو صغير ، فاحتضنته أمه ، ولم يكن لها غيره فأحبته ، وما كانت تزجره أو تنهاه إن أخطأ أو أتى أمرا إدا ، بحجة أنه يتيم ، فلا ينبغى أن يكسر خاطره ، فنشب مدللا ، وكثيرا ما كان يشتمها ، فلا تحاول أن تقومه ، بل كانت تضحك ، وتضمه إلى صدرها فرحة ، وتمطره قبلاتها ، وكانت كل أمنيتها أن يبقيه الله لها ، ويمد فى حياته وكل ما خلا ذلك يهون .

فنشأ بذىء اللسان ، لا يحجم عن سب أى إنسان ، ولطالما شكا الجيران منه ومن بذاءته ، فكانت تختلق له الأعذار ، ثم ترقيه من عيون الحاسدين . وترعرع وكبر ، وتعلم فى كتاب القرية ، ولم تشأ أن ترسله إلى الحقل ، كبقية أبناء القرية ، بل قر رأيها على أن ترسله إلى مصر ، ليتعلم فيها ، ليصبح موظفا عظيم الشأن ، يتحكم فى مصاير الناس ، كأولئك الموظفين الذين رأتهم فى البندر. وأرسلته إلى أخيه من أبيه فى مصر ، وقد احتملت ألم الفراق فى سبيل سعادته ، وتحقيق أمنيتها ، وقد كان دخلها ضيقا ، فقترت على نفسها ، لتوفر له تكاليف إقامته فى القاهرة.

وتصرمت السنون ، وأصبح فهمى شابا يافعا ، قصير القامة ، أسمر اللون ، وكان وجهه أشبه بوجه طفل .إذا سار اهتز يمينا ويسارا ، واذا ضحك ، وهو دائما ضاحك ، ألقى برأسه إلى الخلف ، وأطلقها ضحكة صافية من قلب خلى .

ونال فهمى البكالوريا ، والتحق بخدمة الحكومة ، فكادت أمه تطير من الفرح ، وأخذت تتيه على أترابها ، ولا تتحدث إلا عن فهمى ، ومركز فهمى ، والسعاة الواقفين بباب فهمى ، والناس المنتظرين تشريف فهمى ، ومادار بخلدها أن فى الحكومة آلافا وآلافا كفهمى ، وأنه قد تمر أسابيع لا يذكر أحد فهمى بخير أو شر، أنه قطرة فى بحر ، وقد حسبت أنه نال كل ما يصبو إليه ، ومادرت أنه ما وضع رجله إلا على الدرجة الأولى من سلم الحكومة الطويل، وأنه قد تنقضى حياته قبل أن يرقى درجة أو درجتين ..

وكان أول ما فكرفيه فهمى عقب توظفه ، وتسلم مرتب الشهر الأول أن يستقل بسكناه ، ليكون حرا طليقا ، يفعل ما يحلو له ، بلا رقيب أو حسيب . وكان مرتب فهمى أزيد من حاجته ، فقد كانت أمه ترسل إليه الأرز والسمن والبيض والطيور ، بين وقت وآخر ، فكان ينفقه على شهواته ، وما فكر فى أن يعين أمه بشىء ، أو يقتصد شيئا . وكان فهمى ضعيف الإرادة ، ينقاد إلى الرفقاء بلا تفكير أو روية ، يقضى أوقات فراغه فى قهوة بلدية ، حيث تعرف ببعض أولاد البلد الأغنياء ، فصار يصاحبهم ويقضى

سهراته معهم ، فى لعب الورق ، أو تدخين الحشيش ، وأصبح لا يحلو له إلا مصاحبتهم فتأثر بهم ، وصار نطقه كنطقهم ، فإن وافق على شيء قال : (آه) ممطوطة مثلهم ، واكتسب منهم المبالغة فى الإشارات باليدين إذا تكلم ، الأمر الذى ميزه عن زملائه فى المكتب، وجعل منه شيئا طريفا محببا .

وكان فهمى كأولاد البلد ، لايمل الحديث عن المرأة ، وكان يباهى بأنه خبير بها ، والحقيقة أنه ما كان يعرف إلا الساقطات والخادمات ، وكان لا ينفك يذكر محاسنها ومفاتنها ، ويقول فى مجرى حديثه : إنه على استعداد للذهاب إلى جهنم الحمراء إذا كانت المرأة هناك ــ ولا يظن إلا أنها هناك ــ وما كان يفضل امرأة على أخرى ، فالكل عنده سواسية ، وما كان يعدم أن يجد ميزة فى كل منهن .

قابله مرة أحد زملائه فى المكتب برفقة امرأة عجوز دميمة الوجه ، فأراد فى اليوم الثانى أن يسخر منه ، وأن يجعله أضحوكة المكتب ، فراح يصف المرأة البشعة ، وينعتها بكل نعوت القبح ، وأخيرا قال فهمى بهدوء :

ــ إنى لا أتبطر على النعم ، حتى لا تزول .

وعرف فهمى بين زملائه ببذاءة اللسان ، فما كان ينطق جملة دون أن يرصعها بسبابه الممتاز ، وما نجا أحد من لسانه أبدا ، ومع ذلك لم يغضب منه أحد ، بل على النقيض من ذلك ، كانوا

يشاكسونه ، ليشتمهم بلهجته البلدية التى كانت تضحكهم ، وترفه عنهم . وقد اعتاد زملاؤه أن يتلقوا منه السباب مع تحية الصباح . وفى ذات يوم اتفقوا فيما بينهم أن يحيوه بمثل تحيته ، أو بأقبح منها إذا ما أقبل ، وكان من عادته أن يقبل بعدهم ، ولما لمحه أحدهم صاح :

ـ أقبل فهمى .

فتأهبوا لتحيته . وفتح الباب ، ودخل فهمى يهتز فى مشيته وقبل أن يفتح فاه بالتحية ، صاحوا جميعا فى صوت واحد :

ـ وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته يابن الكلب ، يابن ... يابن ...

فضحك فهمى واستغرق فى الضحك ، ثم انطلق السباب من فيه بسرعة (رشاش براوننج) . واتجه إلى مكتبه ، وخلع طربوشه، وجلس لينهى المكاتبات المكدسة أمامة ، وإن العمل المنوط به ليس بالعمل الهين وإنه ليستغرق وقته كله إن أراد أن يدرسه دراسه جيدة ، وقد كان يبذل مجهودا لإنجاز عمله كما ينبغى ، يوم أن كان يحسب أنه بعمله يستطيع أن يترقى ، ولكنه بمرور الزمن ، وبما رأى وسمع ، علم أن العمل فى الحكومة هو آخر مؤهل للترقى،

ولذلك فكر فى وسيلة يزحلق بها عمله على غيره ، فهداه تفكيره إلى كتابة صيغة رد ، تصلح ردا لجميع المكاتبات وإن اختلف الموضوع والمطلوب ، فأخذ يكتب الصيغة المريحة على ورق

(استنسل) وطبع منها آلاف الصور ، وكانت الصيغة :

اسم القسم :

القاهرة فى / / ١٩

رقم القيد :

عدد المرفقات :

الموضوع : -

حضرة المحترم :

مرسل لحضرتك جميع الأوراق الخاصة بالموضوع عاليه :

رجاء التكرم باتخاذ اللازم .

وتفضلوا بقبول فائق الاحترام .

وقد مكنته هذه الصيغة من إنجاز عمله فى بضع دقائق . فما كان عليه إلا إرفاق هذه الصورة بالمكاتبات المختلفة ، بغير تبيين الموضوع ، وذكر اسم المرسل إليه ، وبذلك أصبح وقت فهمى فراغا كله ، فكان ينفقه فى التحدث عن المرأة ، وأنها عرق الحياة النابض، فلولاها ما عمل إنسان ولا تحمل الصعاب ، فمن أجلها يعمل الناس، ولإرضائها يكد الناس ، ولولاها ما عمرت الدنيا ... ولولاها ... ولولاها ... وما كان يمل ولا يكل من التحدث عنها آناء النهار ، ولا ريب أنه ما كانت تفارقه فى أحلامه .

وما كاد فهمى ينتهى من عمله ـــ أى بعد استقراره على مكتبه بربع ساعة على أقصى تقدير ـ حتى راح يقص قصته مع

صاحبة البيت الجديد ، فقال : إنه سكن فى منزل امرأة فى الأربعين، وقد رفضت أن تؤجر له الشقة أولا ، بحجة أنه أعزب ، ثم تدرجت معه فى الحديث ، واستفسرت منه عمن سيزوره من أقاربه وقريباته على الخصوص ، فأخبرها أنه لا أقارب له فى القاهرة ، وكان لا يحب الكذب وما تعوده ، وكان صريحا لا يخفى شيئا ، ولا يخجل من أن يفصح عما يجيش بصدره ، وإن كان الإفصاح عنه مما يخجل المرء العادى عادة ، فأخبرها أن له صديقة ستزوره مرة واحدة فى الأسبوع ، فقالت له إنها أعجبت بصراحته ، وإنها لا ترى مانعا من أن تؤجر له الشقة ، وأنها لترجو أن يكون جارا يقدر حق الجوار . وانتقل إلى السكن الجديد ، ثم قال إنه كان عند حسن ظنها به ، فقد أثبت أنه جار ممتاز ، فما انقضى أسبوع حتى كانت العلاقة بينه وبينها على أحسن حال ، فكانت تزوره ظهرا ومساء ، وراح يقص على رفاق المكتب ما جرى بينه وبينها بإطناب وإسهاب ، وكان يستعين بالإشارات بيديه ، لتوضيح حديثه ، وكان حديثه واضحا وضوحا مخجلا ، فما استعان بتورية ، ولا كنى بكناية ـ فما كانت هناك حاجة للإستعانة بالإشارات ونحوها ، وتطلع على وجوههم الاهتمام ، وألقوا من أيديهم الأقلام ، واستمرفى حديثه ساعات ، وهم صامتون ، كأن على رءوسهم الطير ، وانقضى الوقت وما أنجزوا عملا ، ودخل فراش المكتب فصمت فهمى ، والتفت إليه، فألفاه يقدم له دفتر الأوامر ، فتناوله وراح يقرأ ما فيه ، ثم قهقه

وصاح :

ـــ اسمعوا ما كتبه الباشكاتب ابن الأمة ، على حضرات الموظفون التواجد فى الصبح على مكاتبهم ، ليس بعد الثامنة . من أين لابن الكلب هذه القدرة العجيبة على خلق صيغ جديدة ، وقواعد فريدة . والله لو أنصفت المصلحة لبعثته هدية إلى المجمع اللغوى .

فضج الرفقاء بالضحك واستطرد فهمى :

ـــ متى يطبق مشروع محو الأمية ؟ إنى أتحرق شوقا إلى تعليم حضرة الباشكاتب القراءة والكتابة .

وأقبل ساع وقال :

ـــ فهمى أفندى يقابل الباشكاتب حالا .

فظهر الارتباك على فهمى ، وتناول طربوشه ، وأصلح هندامه، فضحك زملاؤه ، واتجه إلى الباشكاتب ، وهو يفكر فى سبب دعوته الآن ، وكان الباشكاتب نصف متعلم ، خدم مدة كبيرة فى السودان ، كانت له شفيعا عند الترقى ، وكان يمتاز بروح مرح ، يتقبل الفكاهة قبولا حسنا ، بل كثيرا ما كان يمزح مع زملائه ويتطاول عليهم ، ويخرج عن المألوف فى المزاح معهم ، ولكنه كان يتكلف الجد أمام مرءوسيه ، دخل فهمى عليه وحياه :

ـــ صباح الخير يا سعادة البك .

ـــ صباح الخير يافهمى أفندى . عندى كشف ضخم أحب أن

ينتهى اليوم ، فرأيت أن أعهد به إليك .

فأراد فهمى أن يقول « بكل سرور يا سعادة البك » ولكن لسانه زل كعادته ، فقال :

ـ بكل سرور يابن الكلب .

وأفاق فهمى بعد أن نطق بما نطق به ، فرأى الباشكاتب يحدق فيه فى دهش ، فتصبب العرق منه ، وعقد لسانه ، وأحس دوارا ، وكاد يسقط من الإعياء . ومضت مدة خالها فهمى دهرا ، وأخيرا وجد لسانه ، فقال :

ـ آسف يا سعادة البك كنت أقصد أن ...

ووقفت الكلمات فى حلقه ، فقال الباشكاتب فى حدة :

ـ حصل خير .. حصل خير ...

وتناول فهمى الكشف وخرج ، وهو يتعثر فى مشيته ، يكاد يذوب خجلا ، وأغلق الباب خلفه فى هدوء ، فانفجر الباشكاتب ضاحكا .

كان فهمى يحب رفقاءه ، وكان لا يطيق البعد عنهم ، كانوا جميعا من الشبان حديثى السن ، وما كان يدرى ما يكون حاله لو قدر له أن يعمل فى مكتب به بعض الموظفين المسنين المتزمتين .

وندب فهمى للعمل فى مكتب آخر لمدة أسبوع ، ليعاون موظفى المكتب فى إنجاز الأعمال المتأخرة عندهم ، فراح السباب يتدفق من فيه ، ولعن الحظ الأغبر الذى حكم عليه بترك مكتبه .

حزن فهمى ، ولكن خفف من حزنه علمه أنه لن يغيب عن زملائه أكثر من أسبوع ، واتجه إلى المكتب الجديد ، فألفاه مكونا من موظف كبير السن ، وموظفين من الشبان ، فحياهم وجلس على نضد أعد له ، وكانت أكداس من المكاتبات موضوعه فوقه ، فأخذ يعمل فى سكون ، وما رفع رأسه عن عمله ، كان يتمنى أن تنتهى هذه المكاتبات فى غمضه عين ، حتى يعود إلى مكتبه وزملائه الأحبة . وانقضى اليوم ، ولم يحادث أحدهم الآخر فغمغم : (لعلنا فى ملجأ خرس) ، وقبل انصرافهم ، حمل كل منهم بعض المكاتبات، لينجزها فى البيت ، والتفت أحد الشابين إلى الرجل المسن ، وقال :

ـ سآتى اليوم عندك ، لأعاونك على إنجاز عملك .

ـ متشكر يا حسن أفندى .

وانصرف الجميع فى هدوء ، ومر اليوم الثانى كما مر اليوم الأول ، عمل مضن ، وهدوء شامل ، وصم بكم لا يتكلمون ، فظهر الضيق فى وجه فهمى ، ولكنه علل نفسه بأنه أسبوع وينقضى ، فليتحمله صابرا ، وقبل الانصراف التفت الشاب الآخر ، وقال للرجل المسن :

ـ سآتى اليوم عندك لنتعاون على إنجاز المتأخر من العمل .

فتعجب فهمى فى نفسه وقال : لعله رئيسهما ، ولكن هيئته وعمله ينفيان ذلك . لابد أن يكون رئيسهما ، فما رأيت طول مدة

خدمتى فى الحكومة من يتطوع من تلقاء نفسه لمعاونة آخر ، وفكر فى أن يسأل بعض من يعرف عن ذلك الرجل المسن ، وهل هو رئيسهما ، فإن كان رئيسهما فلا عجب ولا تعجب ، فهذا هو الحال فى الحكومة ، تملق المرءوس للرئيس ، وتطوعه للقيام بجميع أعماله، أما إذا لم يكن رئيس المكتب ، فهذا هو العجب العجاب .

وتقابل فهمى هو وأحد أصدقائه ممن عمل بالمصلحة من سنين طويلة ، فسأله عما يشغله ، فأخبره أن ذلك الرجل المسن فى نفس الدرجة التى بها الموظفان الشابان .

انتهت سهرة فهمى فى القهوة ، فاتجه إلى داره ، وخلع ملابسه، واتجه إلى سريره ، وتمدد ، فراح فكره يعمل . وينتقل به من مكان إلى مكان ، وتذكر المكتب الجديد ، والشابين والرجل المسن ، فأخذ يفكر فى أمرهم طويلا ، وأخيرا قر رأيه على أن هذين الشابين شهمان ، رأيا رجلا مسنا تكدس العمل المرهق عليه ، فمدا إليه يد المساعدة . ياللرجولة !.. وياللنخوة ! إنه لم ير مثلهما أبدا، وعقد العزم على أن يعرض مساعدته على الرجل المسن غدا، وله فى هذين الشابين أسوة حسنة . أهو أقل منهما رجولة أو نخوة ؟ لا والله . فليعرض مساعدته ، وإن كان فى ذلك بعض المضايقة له .

وأصبح الصباح ، واتجه فهمى إلى المكتب مبكرا ، فألفى المكاتبات تغطى النضد جميعه ، وقد تكدست بعضها فوق بعض ، فراح يفحص عنها ، والتمعت فى ذهنه فكرة ، فغمغم : « لم لا

تكون هذه المكاتبات هى مكاتبات القسم جميعه ، وأنهم انتهزوا فرصة وجوده ، فحولوها عليه ، وتظاهروا بالعمل ، ولا عمل عندهم؟ فهذا ما يحدث عادة كلما التحق موظف جديد بالقسم » .
وراح يفحص مكاتب الموظفين ، ليتحقق مما دار بخلده ، فوجد على مكتبى الشابين أوراقا بيضاء . فتمتم : « لقد غشانى ابنا الكلب » واتجه إلى مكتب الرجل المسن . فألفى مكاتبات كثيرة تنتظر الرد عليها ، فقال فى نفسه : « إن أمرهما عجب ، يساعدانه في المساء ويرهقانه فى الصباح » . وحمل المكاتبات المكدسة على نضده ووضعها على مكتبى الشابين .

وأقبل الموظفون ، وحيوا فهمى ، فتظاهر بالعمل ، ورد على تحيتهم دون أن يرفع رأسه عن الورقة البيضاء الموضوعة أمامه . وراح يرقبهما من طرف خفى ، فوجدهما يتبادلان الاشارات .فضحك فى نفسه ، ثم رفع رأسه وقال : « كشف أمركما ، يكفى استغلالكما لى يومين ، والله لا أمد يدى إلى هذه المكاتبات » ، وفوجىء الشابان ، فلم يسعهما إلا أن يضحكا ، وحمل فهمى أفندى كرسيه ، وأتجه إلى حيث كان الرجل المسن ، وقال :

ــ سأعاون رأفت أفندى اليوم .

وجلس بجوار الرجل المسن ، وراحا يعملان فى هدوء ، ومر الوقت ، وقرب ميعاد الانصراف ، فقال فهمى لرأفت أفندى :

ــ ما رأيك فى أن أعاونك بعد الظهر ، حتى يتم هذا العمل

المتأخر ؟

ـ إن فى هذا إرهاقا لك ، وتعطيلا لمصالحك .

ـ إنى لا أجد ما أفعله بعد الظهر ، إلا الجلوس فى المقهى .

ـ أشكر لك كرمك ونبلك .

ـ العفو يا رأفت بك ، أنا فى خدمتك .

وناول رأفت أفندى فهمى عنوان الدار ،وقبل انصراف المكتب ، التفت حسن إلى رأفت أفندى ، وقال :

ـ سآتى اليوم فى الخامسة .

ـ متشكر . تطوع فهمى أفندى لمعاونتى اليوم .

وفى الميعاد المضروب ، كان فهمى يتجه إلى دار رأفت . ومر على المقهى فرأى أصحابه جالسين ، فلم يحيهم ، وسار فى طريقه وهو يلعن ذلك اليوم الذى انتدب فيه للعمل بهذا المكتب المرهق ، وراح يلعن تلك النخوة والرجولة التى هزته ، وجعلته يسارع بعرض مساعدته على رأفت أفندى ! أما كان الأفضل له أن يعيش على هامش المكتب حتى تنتهى مدة انتدابه . إنها مرة ولن يعود إليها . وصل إلى الدار ، وصعد فى الدرج ، ثم دق الباب برفق ، ففتح ، وظهر رأفت أفندى فى جلباب أبيض ، وسلم عليه ، وقادة إلى حجرة بسيطة الرياش ، بها بعض كراسى لاستقبال الضيوف ، وفى ركن منها نضد كبير قد وضعت الأوراق فوقه ، ورص حوله ثلاثة كراسى ، وجلسا يتحدثان قليلا ، وشاء فهمى أن ينتهى من هذا

العمل الثقيل على نفسه ، فنهض واتجه إلى النضد ، وسحب كرسيا وجلس فقال له رأفت :

ـ ألا نستريح قليلا ؟

ـ لننته من عملنا أولا ..

وأخذ فهمى يعمل باذلا ما فى وسعه لإنجاز ما أمامه ، حتى لا يتعطل عن رفقاء القهوة ، وبينما كان منهمكا فى عمله ، إذا سمع وقع أقدام فى الحجرة ، فلم يلتفت ، ولم يرفع رأسه ، واستمر فيما هو فيه ، وسمع رأفت أفندى يقول :

ـ بنتى فاطمة .

فرفع رأسه ، فرأى فتاة ممشوقة القد ، جميلة القسمات ، واسعة العينين ، خمرية اللون ، ممتلئة الصدر ، ضامرة الخصر . فظهر عليه الارتباك ، ولم يدر ما يفعل ، وفغر فاه ، ولم يفتح الله عليه بشىء ، فقال رأفت أفندى وهو يشير إليه .

ـ فهمى أفندى ، زميل جديد فى المكتب .

فقالت الفتاة بصوت خافت ، كله رقة ، وكله عذوبة :

ـ تشرفنا يا أفندم .

فانفرجت شفتا فهمى عن ابتسامة باهتة ، وبان عليه ارتباك ، وقال رأفت أفندى :

ـ إن فاطمة تساعدنا يوميا فى إنجاز عملنا .

فنهض فهمى ، وسحب الكرسى الثالث ، وقال لها :

ـ تفضلى يا هانم .

حاول فهمى أن يستأنف عمله فلم يقدر ، وقف القلم فى يده ، وراح يختلس النظرات إليها بين الفينة والفينة . وتقابلت العيون ، وكانت فاطمة تبتسم له فى كل مرة ابتسامة خفيفة ، وسكنت نفس فهمي ، وردت إلى طبعها ، وتذكر رفيقى المكتب فكاد ينفجر ضاحكا ، وقال فى نفسه « يا للنخوة .. ويا للرجولة » !

ومر الوقت ، وتمنى فهمى ألا يمر ، وألا ينقضى العمل ولكن تم العمل ، ونهض فهمى واستأذن ، وانصرف وقد وطد العزم على أن يطلب نقله نهائيا إلى المكتب الجديد ، وأن يكون أكثر الجميع نخوة ورجولة .. فلن يفارق رأفت أفندى أبدا .. وليساعده دواما ...

على كل لون



ارتفع صياح باعة الصحف معلنا تأليف الوزارة الجديدة . وراح الناس يقرءون الأخبار ، ويعلقون عليها ، وأظهر الجميع سرورهم ، وراحوا يخوضون فى الوزارة المستقيلة ، وينعتونها بكل نقيصة ، وكان الموظفون أكثر المتحمسين للوزرة الجديدة ، وأخذ يهنىء بعضهم بعضا ، وأتيحت للتلاميذ فرصة الزوغان فلم يتركوها تفلت ، فحملوا أعلامهم ، وركبوا الترام .وانطلقوا لتهنئة الوزارة المنقذة ، وبلغ الترام دار السينما ، فالتفت التلاميذ بعضهم إلى بعض ، ثم ترك معظمهم الترام ويمموا صوب السينما ، وأسرعوا حتى لا تفوتهم حفلة الساعة العاشرة ، واستأنف الترام سيره ، يحمل فلول المتظاهرين إلى لاظوغلى ليحيوا الوزارة مع المحيين ، وأقبلت الهيئات تحمل أعلامها ، وارتفع الهتاف بسقوط الظلم ، وبحياة العهد الجديد ، حتى بلغ عنان السماء . وخرج رئيس الوزراء لتحية المهنئين ، فدوى التصفيق ، واستمر الهتاف حتى بحت الأصوات ، وانصرف الجميع ، والكل يأمل أن يناله خير فى ظل العهد الجديد .

ووقفت سيارة الوزيرالجديد عند باب وزارته ، فخف الموظفون

المنتظرون تشريفه عند الباب إلى السيارة ، وامتدت مئات الأيدى لفتح بابها ، وهبط الوزير ، فالتفوا به ، و راحوا يصافحونه ، وقد ارتسمت ابتسامات عريضة على وجوههم .وبان الحبور عليهم ، ولثموا يده ، وسار الوزير ، فساروا خلفه خفافا ظرافا ، مستبشرين فرحين ، وبلغ باب مكتبه فامتدت مئات الأيادى لفتح الباب ، واستقر الوزير فى مكتبه ، وجاءت الوفود تترى ، هاتفة بحياة الوزير الجديد . ودخل موظف أنيق ، وتقدم نحو الوزير وصافحه ، وانحنى حتى كادت جبهته تلثم الأرض ، ثم اعتدل وقال : إن سرورنا اليوم يا معالى الوزير لايعدله سرور ، ولولا علمنا أن معاليكم لاتحب تعطيل العمل ، والمظاهر الكاذبة ، لتركنا جميع الموظفين يدخلون لتهنئة معاليكم ، و إظهار عواطفهم الجياشة . إنهم يامعالى الوزير يزجون إلى معاليكم تهنئتهم الخاصة ، ويشكرون الله أن هيأ لهم وزيرا عادلا شهما ، كريما ، نزيها ، أبيا مثلكم .

ولم يكن هناك موظف واحد على مكتبه عندما كان عباس «الموظف اللبق الأنيق » يقدم نفسه إلى الوزير بظرف وكياسة ، فقد كان جميع موظفى الوزارة فى غرفة الوزير .

واستمرت الوزارة تعج بالمهنئين من كل لون ، كأنما أصبحت الوزارة معرضا من المعارض ، أو مولدا من الموالد ، وأخيرا هدأت الحال ، وراح الوزير يفكر فيمن يسند إليه إدارة مكتبه ، فراح

يستعرض فى ذهنه من يثق فيهم ، فرأى أن عباس أكفأ من يصلح لهذا ، فهو شاب نشيط ، مثقف مخلص ، رجل يعتمد عليه، فعينه مديرا لمكتبه .

كان عباس طويل القامة ، ضخم الجسم ، عريض الكتفين ، قمحى اللون ، إذا تكلم تكلم بصوت هادىء ، ما كان يضحك أبدا ، أو يمازح أحدا ، بل كان يتخذ هيئة الجد ، وكان طابع الوقار يدمغه، كانت ضخامة جسمه من دواعى هيبته واحترامه . ومما ساعد على توقيره أننا سطحيون ، نحكم بالظواهر ، وإن ظاهره ليدل على رجولة ونضج مكتملين ، كان عباس قوى الحجة ، يستطيع أن يقنع محدثه ، ويستولى عليه فى يسر . وهناك مثل عامى يقول « كل طويل هبيل » ولكن هذا المثل لاينطبق على عباس ، فهو ماكر أمكر من ثعلب ، يتظاهر بالبراء ة والطهر والصراحة ، ويتقن تمثيل ما يتظاهر به ، حتى ليخاله أعرف الناس بأخلاقه أنه صادق . ولعباس قدرة عجيبة على إيهامك أنك صديقه الوحيد ، بطريق غير مباشر ، دون أن يثير ريبتك ، أو يحرك شكوكك ، وهو يكيد لك ، ويوهمك أن هذا الكيد فى مصلحتك ، وهو أنانى لأقصى حدود الأنانية ، فما كان يتورع أن يصعد على أكتاف الآخرين ، وما كان يستنكف أن يستعمل أقذر الوسائل فى إقصاء من يظن أنهم منافسوه ، أو من يظن أنهم قد يصبحون منافسين له فى يوم من الأيام ، وماكان يطيق أن يرى خيرا يصيب غيره ، فإن شعر أن

غيره سيناله درجة أو علاوة عمل على عرقلتها ، ولايهدأ له بال إلا إذا منعها . وإن نال أحدهم علاوة أو ترقية أحس ضيقا وغيظا كأنما اغتصبت اللقمة من فيه ، وضاع حق من حقوقه ، ولم تظهرأخلاق عباس هذه على حقيقتها ، أول ما أصبح مديرا لمكتب الوزير ... كان يعمل على توطيد مركزه أولا ، ولما استقر له الأمر، ونال الدرجة الرابعة ، بان المستور ، وعرف الجميع أنه إنسان خطر ، لايؤمن جانبه ، إلا الوزير فقد أيقن أنه أكفأ موظف فى وزارته ، وما يهم عباسا من غضب الناس ، إذا كان الوزير عنه راضيا ؟

وشاء عباس أن يوهم الوزير أنه يعمل ليل نهار ، فكان يعود إلى الوزارة فى المساء ، ولايكتفى بإنارة مكتبه ، بل كان ينير مكاتب الوزارة جميعها ، حتى إذا سأل إنسان عما هنالك ، وعن الدافع إلى ذلك ، كان الجواب أن عباسا يعمل لإنجاز الأعمال المتراكمة فى الوزارة . ورأى عباس أن توجهه إلى الوزارة ليلا وفر له ما كان ينفقه فى القهوة ، فأصبح لا ينقطع عن الوزارة ، حتى فى أيام العطلة الرسمية ، وطغى عباس فمنع رؤساء الأقسام من الدخول على الوزير ، لعرض أوراق أقسامهم ، وراح يجمع أوراق الأقسام جميعها ، ويعرضها هو على الوزير ، ملمحا إلى أنه هو الذى أنجزها ونسقها .

واجتمعت لجنة شئون الموظفين ، وقررت ترقية عباس إلى الدرجة الثالثة .

واستقالت الوزارة .وارتفع صياح باعة الصحف معلنا تأليف الوزارة الجديدة ، وظهرالسرورعلى وجوه الجميع ، وابتدأ الناس كماهى العادة ينهشون عرض الوزارة المستقيلة ، وينعتونها بكل نقيصة ، وأتيحت للتلاميذ فرصة الزوغان من المدرسة ، كما أتيحت لإخوان لهم من قبل ، فحملوا أعلامهم . وانطلقوا لتحية الوزارة الجديدة ، ولما وصل ركب المهنئين إلى دار السينما ، حدث مثل ماحدث من سنين . انسل معظمهم إلى السينما واستمر الباقون إلى لاظوغلى ، وهنالك اجتمعت الهيئات التى اجتمعت من سنين لتهنئة الوزارة الجديدة ، وكانت تلك الهيئات تحمل نفس الأعلام التى كانت تحملها يوم جاءت لتحية العهد الذى ولى . وبان البشر والسرور ، وارتفع الهتاف حتى بلغ عنان السماء ، نفس الهتاف الذى ارتفع من قبل ، بسقوط الظلم وحياة العهد الجديد ، وأطل رئيس الوزراء لتحية المهنئين ، فدوى التصفيق واستمر الهتاف حتى بحت الأصوات ، وانصرف الجميع ، والكل يأمل أن يناله خير فى ظل العهد الجديد .

ووقفت سيارة الوزير الجديد عند باب وزارته ، فخف نفس الموظفون الذين كانوا فى استقبال الوزير السابق ، ولم يزد عليهم إلا عباس ، واستقبلوه بنفس الحفاوة التى استقبل بها سلفه . وكان فرحهم به لا يقل عن فرحهم بالوزير المستقيل ، وسار عباس بجواره يبتسم . وأقبل الموظف الأنيق ، ولم يطق أن ينتظر حتى

يدخل الوزير مكتبه ليلقى خطبته التقليدية ، بل راح يقول وهم سائرون : إن سرورنا اليوم يامعالى الوزير لا يعدله سرور ، ولولا علمنا أن معاليكم لا يحب تعطيل العمل ، والمظاهر الكاذبة ، لتركنا جميع الموظفين يدخلون لتهنئة معاليكم وإظهار عواطفهم الجياشة . إنهم يا معالى الوزير يزجون إلى معاليكم تهنئتهم الخاصة ، ويشكرون الله أن هيأ لهم وزيرا أبيا مثلكم . وبلغوا مكتب الوزير ، فأسرع عباس وفتح باب المكتب ، وإنحنى كما ينحنى الممثل لجمهور المصفقين المعجبين . ودخل الوزير ، ودخل عباس خلفه ، وأغلق الباب وراءه ، وترك جميع الموظفين فى الخارج يتميزون غيظا .

توطدت العلاقة بين عباس والوزير الجديد ، وكان لا عمل لعباس إلا السخرية من الوزير السابق . واختلاق النوادر التى تدل على جهله بالعمل ، وكيف كان هو ينقذه من مآزق كثيرة . وفى يوم ألقى عباس نكتة رائعة عن الوزير السابق ، فضحك الوزير الجديد ، حتى كاد يستلقى من الضحك .

واجتمعت لجنة شئون الموظفين فى نفس اليوم ، وقررت ترقية عباس إلى الدرجة الثانية .

ولما كان عمر الوزارات فى مصر قصيرا كعمر الورد ، فقد استقالت الوزارة ، وارتفع صياح باعة الصحف معلنا عودة الوزارة السابقة ، وابتدأ المألوف من الخوض فى الوزارة المستقيلة ، والفرح

بالوزارة الجديدة ، وخروج التلاميذ بأعلامهم للتهنئة ، وذهاب معظمهم إلى السينما ، واتجاه نفس الهيئات ونفس الوفود إلى لاظوغلى ، والهتاف بنفس الهتاف ، وسقوط الظلم ، وحياة العهد الجديد ، ولو أنصفوا لهتفوا « بحياة أى وزيرجديد » ، وأطل رئيس الوزراء على الوفود . فارتفع الهتاف بحياة منقذ الشعب ، ودوى التصفيق ، وانصرف الجميع ، والكل يأمل أن يناله خير فى ظل العهد الجديد .

وعاد الوزير الذى عين عباسا مديرا لمكتبه أول مرة ، ففرح الموظفون ، وأخذ يهنىء بعضهم بعضا ، لقد عاد الوزير الذى سيرحمهم من عباس ، ودكتاتورية عباس . سينكشف أمره ، ولن يستطيع أن يلعب على الرجل مرتين ، أما تنكر مرة للوزير بعد استقالته ، وما فكر فى زيارته بعد ترك الوزارة مرة واحدة ؟ ! وكان يزوره كل يوم وهو فى الوزارة ؟؟ لقد بلغ الوزير ما قاله عباس عنه ولاشك ، فلن يمكث فى وظيفته يوما واحدا ، ورحم الله عباسا وعهد عباس .

ومرت مدة ولم ينقل عباس ، فتواصى الموظفون بالصبر ، وقالوا إن الوزير ينتظر اجتماع لجنة شئون الموظفين ، ليقرر نقله فيها ، فهو كريم ، لايحب أن يقال عنه أنه اضطهد أحدا . واجتمعت اللجنة ، وقررت ترقية عباس إلى الدرجة الأولى .ولما انتشر الخبر كاد الموظفون يصعقون ، وتمتم أحدهم :

ـ إنه يستحق . هذه عبقرية ولاشك ، يعيش فى كل عهد ، وينال رضا الجميع .

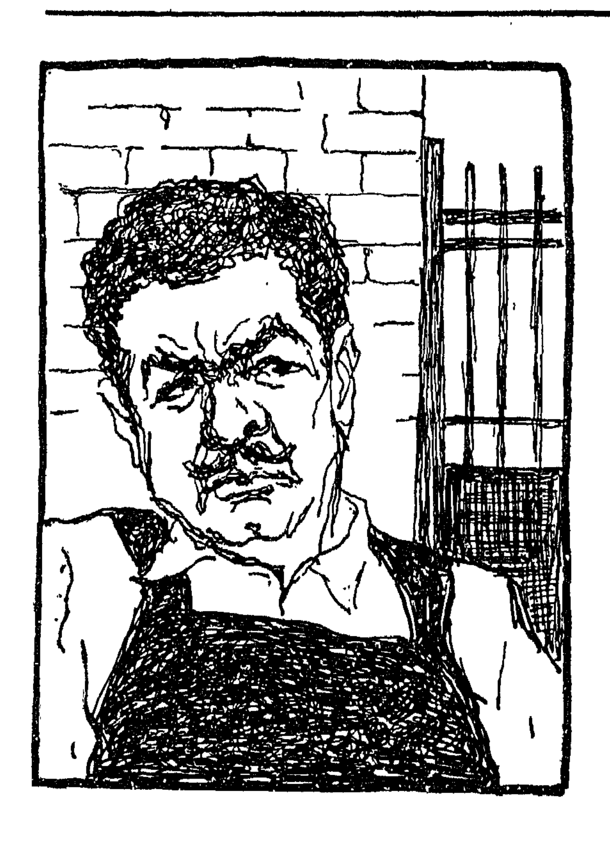
فقال آخر :

ـ على كل لون ، كصبغة الثياب .

فقال ثالث وهو يزفر بشدة لينفس عن صدره المكظوم :

ـ إنه كحرباء ، له القدرة على أن يتلون بلون المحيط الذى يعيش فيه ، سيعيش دواما ، ولن تدول دولته أبدا .

أمانة ..



تكدست أكوام البشر فى داخل الترام ، وعلى جانبيه ، ومن خلفه ، ومن قدامه ، واختلطت الأذرع والسيقان ، حتى أصبح من المستحيل أن تقع العين على هيئة إنسان ، فهذه ذراع ، وهذا رأس ، وهذا خصر ، أما لمن هذا الرأس ؟ ولمن هذه الذراع ؟ وأين صاحب هذا الخصر أو هذه الساق ؟ فهذا ما لا يفطن إليه إنسان ، وكثيرا ما يخيل للناظر إلى الكتل البشرية المتراصة على سلم الترام، أن للجسم الواحد رأسين ، أو للرأس الواحد جسمين ، وأن أغلب الواقفين على سلم الترام ينافسون (البهلوان) ، فهذا واضع طرف قدمه على حافة السلم ، وقابض على قائم الترام بأصبع ، وهذا متعلق فى عنق آخر ، متعلق بسروال ثالث . وهكذا . وبلغ الترام فى أمان مصلحة حكومية ، فتساقط الركاب عنه كما تتساقط الأوراق عن الشجر فى يوم اشتدت رياحه ، وكانوا جميعا من العمال، فساروا يتحدثون فيحدثون صوتا كدوى النحل ، وراحوا يسيرون فى نفس الطريق الذى قطعوه آلاف المرات قبل يومهم هذا ، وكانوا يدبون كسلحفاة ، لاينظرون أمامهم ، ولايلتفتون حولهم ، بل ينطلقون كما تنطلق الدواب التى عرفت طريقها من كثرة ما دبت

عليه . انطلقوا ، ومافكروا قط فى يومهم ولم يفكرون ؟ فأيامهم جميعا متشابهة ، ففى الثامنة صباحا يدخلون ، وفى الحادية عشرة يفطرون ، وفى الثالثة ينصرفون ، وكان الأمل الوحيد الذى يداعبهم فى أثناء عملهم ، لوتتكرم عقارب الساعة الكبيرة ، المثبتة فى الفناء الواسع المواجه للورش ، فتدور بسرعة ، حتى تبلغ الثالثة ، لينصرفوا شاكرين ، ولتستريح بعد ذلك كما شاءت لها الراحة ، فما أصبح دورانها يعنيهم بعد انفلاتهم من سجنهم ، كانوا ينظرون إلى ورشتهم نظرتهم إلى سجن بغيض ، وكانوا فى ذلك جد معذورين ، فأسوار الورشة الخارجية ، وشبابيكها العالية ، المزدانة بالقضبان الحديدية ، لا تذكر المرء المتفائل إلا بالسجون . وبلغوا الباب الخارجى الكبير ، فدلفوا وعلى وجوههم غبرة ، فما كانوا يحبون عملهم ، ولولا مسيس الحاجة إلى تلك الدريهمات التى يتقاضونها ليسدوا بها رمقهم ، مادلفوا أبدا من ذلك الباب البغيض إلى نفوسهم ، وماكان بغضهم للمكان براجع إلى قساوة العمل وصعوبته ، فلو كان الأمريتعلق بالعمل وحده لهان الخطب ، ولأحبوا المكان ، بل لهاموا به ، فإنهم ما كانوا يعملون شيئا ، وما أصابهم من العمل نصب ؛ ولكنهم كرهوا المكان لمارأوا أحداثا ـ حسبوها عجيبة بادىء الأمر ـ تتتابع على مر الأيام ، بغضت إليهم العمل ؛ بل جعلتهم يسيئون الظن بالحياة : رأوا باطلا يسيطر ، ومتملقا يسود ، وصاحب حق يداس ، ورئيسا يتصرف تصرف

الوارث فى ضياع الآباء .

ولمح أحدهم صديقه ، فناداه ، وسلم عليه : وقال له وهو يحاوره :

ـ لم جئت اليوم ؟ هل انتهيت من العمل فى بيت المهندس ؟

ـ لا لم أنته بعد ، ولكن جئت لآخذ غراء ومسامير .

ـ هل انتهت نجارة غرفة النوم ؟

ـ لا .

ـ ولم ؟

ـ لأنه أمرنى أن أطليها له .

ـ هنيئا لك .

ـ لماذا ؟

ـ ستحتسب لك أيام الجمع .

ـ أتحسدنى على شىء سبقتنى فى الحصول على مثله ؟

ـ لا أحسدك ولاتحسدنى ، هل يدفع لك شيئا من جيبه ؟ بارك الله فى الحكومة .

وبلغ الجميع باب الورشة ، فوجدوا رئيس العمال عند الباب ، وأمامه صندوق كبير به قطع نحاسية مستديرة ، حفر بها رقم العامل . وكان كل عامل يتناول نحاسته ، ويتجه إلى لوحة الحضور، ويعلقها فى المسمار الخاص به إثباتا لحضوره . وأقبل عامل ليتناول نحاسته ، ولكنه أخذ نحاستين ، وعلقهما فى

مسمارين ، وبذلك أصبح غائب حاضرا. واحتسب اليوم له ، وبارك الله فى الحكومة .

وخلع العمال ملابسهم النظيفة ، ولبسوا ملابس العمل الزرقاء، واتجهوا إلى أماكن عملهم ، ووقفوا يتحدثون ولايعملون ، وراح الرقيب يقوم بمهمة الاستطلاع ، والرقيب عامل من العمال يجدد انتخابه كل يوم ، ويوكل إليه مراقبة الطرق والنوافذ ، فإن لمح المهندس أو المدير مقبلا ، أعطى إشارة الخطر ، فتدب فى الورشة الحياة .

وفى حوالى العاشرة لمح الرقيب المهندس مقبلا يتهادى فى حلته الحريرية البيضاء ، وقد ثبت وردة حمراء فى صدره .وكان يرفع يده بين الفينة والفينة ليصلح رباط رقبته الجميل ، أو ليرفع أطراف المنديل المتدلى من صدره ، فصفر صفير الإنذار ، وهو صفيرطويل ممدود ، فهمس من فى الورشة « ميمى .. ميمى » ، وهو ما اصطلحوا على إطلاقه على المهندس الأنيق ، فأسرع كل إلى عمله ، وأسرع أحدهم إلى الأزرار الكهربية وضغطها ، فدارت الآلات وارتفع عجيجها ، وراحت المبارد ترتفع وتنخفض على قطع الحديد المثبتة فى (المناجل) ، والمناشير تتحرك فى توافق ، كأنما هى فرقة موسيقية تعزف لحنا . ودخل المهندس بقامته الفارعة ، وملابسه الحريرية النظيفة ، يتبختر كغادة مدلة معجبة ، وكان يتحاشى الاقتراب من الآلات أو العمال حتى لاتتلوث ملابسه ،

فما تقول خطيبته التى سيقابلها عقب انتهاء العمل ، إن رأت بقعة زيت تشين لباسه الذى تفنن فى إعداده ؟ وأجال بصره فيما حوله ، فرأى حركة دائمة ، فقرت عينه ، واطمأن إلى أن العمل يسير على ما يرام ومايشتهى ، فانصرف إلى مكتبه ، ليمضى به بقية يومه بين شرب القهوة ، والمحادثات التليفونية ، ومقابلة الأصحاب والأحباب .

ترك المهندس الورشة ، فأسرع عامل إلى الأزرار الكهربية وضغطها ، فخرست تلك الآلات التى صدعتهم بصوتها بعض الوقت، واستأنف العمال مرحهم ، وراح بعضهم يبحثون عن مكان هادىء يستسلمون فيه للذيذ الرقاد .

لكل شىء نهاية إلا العمل الذى تقوم به هذه الورشة ، فلا نهاية له ، وأوشك يوم عملهم أن ينتهى ، فتطلعت الأنظار نحو الساعة ، فقد أوشك العقرب الكبير أن يقطع دورته الثالثة بعد الظهر ، وبان على الوجوه الضجر والملل ، خيل إليهم أنه يتعمد الإبطاء فى سيره، بل إنه واقف ولم يعد يتحرك ، وأخيرا رق لهم . فأتم دورته، ودق جرس الانصراف ، فأسرعوا يتدافعون بالمناكب ، كل يحاول أن يسبق صاحبه ، بان على الوجوه بشر لم يكن ملحوظا فى الصباح ، ودب فيهم نشاط مادب فيهم قبل الساعة قط . وأسرعوا فى الانصراف بقدر ما أبطئوا فى الدخول . وبلغوا الباب الكبير ، وكان مغلقا ، وقد فتحت خوخته ، وهى فتحة فيه لاتسمح بمرور إنسان

إلا إذا طأطأ رأسه ، و رفع رجله ، وتقبضت أطرافه ، ووقف عند الباب حارس يتحسس جيوب العمال قبل انصرافهم ، ليتحقق من أنهم لم يأخذوا شيئا معهم . وكان الحارس يقوم بمهمته ، وهو يتطلع إلى الوجوه ، فإن كان صديقا مر بسلام ، وإن لم يكن صديقا ، فالتفتيش الدقيق يجرى ، وصورة الحزم والعزم ترتسم على وجه الحارس الأمين . .

وأقبل عامل ـ وكان من الأصدقاء ـ مطمئنا ، ومادار بخلده أن الحارس قد قلب له ظهر المجن وأنه قد ساءه أن يمر عليه فى قهوته ، ومعه بعض أصحابه ، فلا يقدم التحيات اللائقة بمقام حارس له عليه أفضال ، ولايقوم بما ينبغى أن يقوم به العارف للجميل لصاحب الجميل ، فأسرها فى نفسه ، وانتظر مواتاة الفرصة، وماأكثر ماتواتيه ، ليعرفه قدر نفسه . أقبل العامل وهو يحسب أنه سيمر بسلام ، ولكن الحارس أوقفه ، وكشرفى وجهه ، وراح يتحسس جيوبه ، فأحس شيئا فيها ، فمد يده وأخرج قمعا من الصفيح ، فلم يضطرب العامل بل ابتسم ، وظن أن الحارس إنما أراد مداعبته كعادته ، فجذب القمع منه وهو يسبه مازحا :

ـ هات يابن الكلب القمع .

فظل الحارس فى عبوسه ، وقال فى صرامة :

ـ جناية أخرى . اعتداء على موظف أثناء تأدية وظيفته ، والله لأبلغن كل هذا المدير .

ونفذ الحارس قسمه ، وبلغ الأمر للمدير ، ووقف العامل يرتجف ، وأخذ المدير يسب ويلعن ، وينذر ويتوعد ، وهمس العامل بصوت مرتجف :

ـ سامحنى يابك .كانت غلطة ، أقسم أنى لن أعود إليها أبدا.

ـ لن أسامحك أبدا . تسرق قمعا ... قمعا ؟ يالص...ياقذر.

ـ ماسرقته .

ـ اخرس . والله لأبلغن الأمر للنيابة .

فبكى العامل واستعطف ، وطلب من المدير أن يوقع عليه أى جزاء إلا تبليغ النيابة ، فأبى ، ومد يده إلى التليفون ورفعه وهو يقول :

ـ لو أنك اقترفت أى ذنب إلا السرقة لغفرت لك . ولعفوت عنك ، أما السرقة فلا أعفو عنها أبدا ... أبدا يالص . يادنىء .

وسلم العامل للنيابة ، ووعد الحارس بمنح علاوة ، ليكون قدوة حسنة لزملائه الحراس .

ووقف الحارس عند الباب الكبير منتفخ الأوداج ، يفتل شاربيه ، ولمح عربة المدير الفخمة مقبلة ، وخلفها عربة أخرى غاصة بخيرات المصلحة ، ففتح الباب على مصراعيه ، وانحنى حتى كادت جبهته تبلغ الأرض ، وخرجت العربتان بسلام إلى بيت المديرالعامر بخيرات الحكومة .

وبارك الله فى الحكومة !

على جانب الحكومة



وصل حمادة إلى الديوان فى الصباح الباكر ، ولمحه أحد السعاة ، فتطلع إليه متعجبا ، فما كان حمادة ليصل قبل العاشرة ، إن تنازل وفكرفى الحضور . وسار فى الدهليز الطويل حتى بلغ مكتبه ، فمد يده وفتح الباب ، فظهر المكتب الأنيق المنسق تنسيقا بديعا ، والمفروش بالسجادات الغالية ، والمزدان بالصورالزيتية الجميلة ، وماكانت هيئة المكتب لتوحى بأنه مكتب حكومى ، فقد كان بعيدا عن البساطة المألوفة فى المكاتب الحكومية ، وكانت المقاعد الجلدية الوثيرة توحى بأنه مكتب محام كبير ، وكانت على المكتب محبرة كبيرة فخمة ضخمة ، ومقلمة فاخرة ، وضعت بها أقلام نظيفة مامست الحبر أبدا . ولم يكن على المكتب ورقة واحدة لا لأن حمادة بك لا يحب أن يؤجل عمل اليوم إلى الغد كما يدعى، بل لأنه لاعمل له إلا التوقيع على الرسائل التى يحملها له مرءوسوه ، دون مراجعة أو دراسة ، وهويوجه جملته التقليدية إلى كل منهم « يا فلان أفندى ، تعلم أنى أثق بك كل الثقة ، فلا أراجع شيئا بعدك ، أواثق من أن المكاتبات صحيحة ؟ » ويأخذ فى التوقيع قبل أن يسمع الجواب بالإيجاب ، ذلك التوقيع الكريم

الذى يكلف الحكومة ثلاثين جنيها فى الشهر . ولم يرزق الله سلة المهملات ورقة واحدة من يوم أن استولى حمادة على هذا المكتب ، وجلب له الأثاث الفاخر ، بعد ترقيته الاستثنائية الأخيرة ، لا لأن حمادة عبقرى فى عمله ، فلا يحتاج إلى تسويد مسودات ، بل لأنه لم يكتب ورقة واحدة طوال المدة التى قضاها فى هذا المكتب ، حتى رسائله الخصوصية كان يكلف أحد مرءوسيه كتابتها ، ولو أنصف حمادة لرفع سلة المهملات (المهملة) من مكتبه ، ولكنه تركها لعلمه أن رونق المكتب لايتم إلا بها ، وهى وأصيص الزهر فى نظره سواء .

ولم يسقط حمادة بك من كشف الترقيات مرة واحدة ، بل كان دائما فى رأس القائمة يباركها ويزينها . وحمادة من المحظوظين الذين عرفوا أخصرالطرق إلى الترقية ، فقد فطن إلى أن العمل لايؤهل للترقى ، بل لكى تضمن ذلك ، لا بد أن تكون على اتصال وثيق بالرؤساء ، عملا بالحكمة المأثورة : « الأقربون الأقربون أولئك هم المحظوظون » . والقرب درجات : أعلاها مصاهرة المدير ، ثم تمضية السهرات مع الرؤساء ، وتوفير الراحة لهم ، وجلب السرور إليهم ، وعيادة مريضهم ، والبكاء على فقيدهم ، والرقص فى أفراحهم .. وشاء حمادة أن يحوز الخير كله ، فصاهر المدير ، ومن ثم راح الجميع يتقربون إليه ، بدل أن يتقرب هو إليهم ، ويتملقونه بدل أن يتملقهم ، ويوفرون له أسباب الراحة ، ويعملون

على إرضائه ، إكراما للمصاهرة العتيدة .

وكان حمادة إذا أبدى رغبة فما أسرع ماتجاب ، وإذا ألقى نكتة سخيفة فما أكثر الضاحكين ، وإذا اقترح اقتراحا تافها فالكل يؤيدون ، وإذا نال ترقية ـ وما أكثر ما نالها ـ فالجميع له فرحون .

اتجه حمادة إلى مكتبه ، وسحب كرسيه ، وارتمى عليه ، وأحس صداعا شديدا ، فحمل رأسه بيده ، وتذكر أن فى درج المكتب بعض أقراص (الأسبرين) ، ففتح الدرج ، وأخرج قرصا ، وضغط على الجرس المثبت على يساره ، فدخل فراش يهرول ويتمتم :

ـ أفندم . نعم يا سعادة البك ؟

ـ كوب ماء حالا .

ـ حاضر يا سعادة البك .

وغاب الفراش قليلا ، ثم عاد يحمل ما أمر به . فتناول حمادة الماء ، وقال للفراش :

ـ أغلق الباب خلفك ، وضع شارة (مشغول) على الباب .

ـ حاضر يا أفندم .

وأغلق الباب ، وتناول حمادة قرص الأسبرين ، ثم اعتمد بذراعيه على المكتب ووضع رأسه فوقهما ، وراح يغط فى النوم . وانقضت ساعات ، ثم فتح باب المكتب ، ودخل منه على ومحمود

وحسين ، وهم رؤساء أقلام ثلاثة ، أمضوا فى درجتهم الحالية الأربع السنوات التى ينص القانون على وجوب تمضيتها قبل الترقية ، وهم يطمعون فى الترشيح للدرجات الخالية . لذلك ظلوا يلازمون حمادة ، لا يفارقونه ليل نهار ، عسى أن يذكرهم بخير عند حماة العتيد . لمحوا حمادة منكفئا على مكتبه ، فساروا على أطراف أصابعهم ، واصطفوا أمام المكتب ، وهتفوا بصوت منغم رقيق :

ـ صباح الخير ياحمادة بك .

فرفع حمادة رأسه ، وفتح نصف عينه ، فرآهم أمامه منحنين ، وقد ارتسمت على وجوههم ابتسامات عريضة . فتمطى وقام واتجه إليهم ، وصافحهم فى تراخ ، ثم اتجه إلى مقعد من الجلد وثير ، وقعد ، فأسرعوا وجلسوا حوله ، وقال له حسين :

ـ كيف عدت أمس إلى الدار ؟ إننى لم أعثر على سيارة واحدة فى الطريق .

فضحك محمود وقال :

ـ بل تقصد اليوم ، فما برحنا النادى قبل الثالثة صباحا . فقال حمادة فى هدوء :

ـ لم أعد إلى الدار .

ومانطق حمادة بهذا إلا وأخذ الثلاثة يستفسرون منه متى جئت إلى هنا ..

ـ سرت على النيل حتى قدم أول ترام ، فركبته حتى ميدان الخديو إسماعيل ، وهناك تناولت طعام الإفطار، ثم جئت إلى هنا ..

فضحك الرفاق ، وقال محمود :

ــ وماتقول لزوجك عندما تعود ؟ ألاتخشى أن تسأل عنك!!...

ونفخ شدقيه ، ورسم بيده شاربا ضخما في الهواء ، وراح يبرمه، فضحك حمادة بك ، وقال :

ـ لا تخف على ، لقد قلت لها قبل أن أخرج أنى مكلف بمهمة قد تستغرق أياما .

فضج الرفاق بالضحك ، وقال حسين وهو يضحك ضحكا مفتعلا :

ـ مهمة (كونكان) يانمس .

وقال محمود فى تملق :

ـ كم كسبت أمس ياحمادة بك ؟

ـ مبلغا تافها .

فقال على فى تهويل :

ــ تافه ؟ حرام عليك .كنست جيوبنا أول الشهر ثم تقول تافها ؟

وجذب حسين النضد الصغير ، وراح يقلبه بين يديه ثم قال :

ـ مارأيكم فى أن نكمل اللعب هنا ؟

فقال محمود فى تخاذل :

ـ لايا شيخ !

وقال حمادة :

ـ فكرة لابأس بها .

ورن جرس التليفون ، فقام حمادة متأففا ، وتناول السماعة فى تبرم :

ـ ألو .

ـ ...

وبان على وجهه الاهتمام ، فجلس على حافة المكتب وقال :

ـ صباح الخير يافيفى .

ـ ...

ـ والله أنا مشغول . كذاب ؟ أنا كذاب ؟ أبدا والله أنا مشغول .

ـ ......

ـ كنت مشغولا فى مهمة .

والتفت إلى رفاقه ، وغمز لهم بعينه ، ثم استأنف :

ـ لابد من مقابلتى الآن ؟ .. حالا ؟ فى جروبى ؟ لاآسف .أنا مشغول ..مشغول جدا ... مصالح الناس . مصالح الناس يافيفى.

ـ .....

ـ .. لا .. إنى لاأحتمل غضبك . سآتى حالا .

ووضع حمادة سماعة التليفون ، واتجه نحو الباب ، فسأله محمود :

ـ إلى أين تذهب ؟

ـ إليها .

ـ موعدنا الليلة .

فقال وهو يغادر الغرفة :

ـ والليالى التالية .

وخرج حمادة مهرولا ، فالتفت حسين إلى رفيقه ، وقال :

ـ ياللحظ ! يتزوج ابنة المدير وينال الدرجة الرابعة فى بضع سنوات ، ويستولى على أفخم مكتب فى المصلحة . إن مكتبه أفخم من مكتب المدير نفسه ، بينما مكاتبنا ، نحن الموظفين فى الدرجة الثالثة ، الذين أمضينا أكثر من عشرين سنة فى خدمة الحكومة لاتصلح أن تكون خوان مطبخ بجوار مكتبه ، فتيات جميلات ، سلطة واسعة ، لاعمل ولا إرهاق . لقد دعت له أمه يوم ولادته ، وكانت أبواب السماء مفتحة .

وترك الجميع الحجرة ، وبلغ حمادة فناء المصلحة ، ولمح عربة مصلحية ، فركبها ، وأدار المفتاح الكهربى ، وداس على المقوم ، فدار المحرك ، ثم انطلق حمادة بالسيارة ، دون أن ينتظر السائق ، أو يكلف خاطره بالسؤال عنه .

وخرج حمادة بالسيارة ، وراح يسابق الريح حتى بلغ تقاطع شارعين ، فلم يهدىء من سرعته ، بل انطلق فى طريقه ، وكانت

سيارة أخرى مقبلة من الطريق الآخر ، فكادت السيارتان تصطدمان، فأدار حمادة عجلة القيادة بسرعة . فانحرفت السيارة عن طريقها ، وارتطمت بحائط قريب فتهشمت .

وبلغ الحادث المدير .فأمر بتشكيل مجلس تحقيق برياسة محمود وعضوية حسين وعلى . واجتمع المجلس الموقر فى مكتب حمادة ، واتجه محمود إلى باب الحجرة وأغلقه من الداخل ، وقال وهو يبتسم :

ـ سهرة أمس مستمرة ياأصحاب ، هات ورق اللعب ياحمادة .

ـ ومجلس التحقيق ؟

ـ دع مجلس التحقيق الآن .

ـ لننته منه أولا .

فقال محمود :

ـ لن يستغرق منا أكثرمن بضع دقائق . دعوه الآن .

وجلس الرفاق حول المائدة يلعبون ، وتصرم الوقت ، والتفت حسين إلى ساعته وقال :

ـ لم يبق إلانصف ساعة على موعد انصراف المدير وقد طلب منا موافاته اليوم بقرارات المجلس .

فقال محمود :

ـ هات ورقة ، وسأكتب القرارات حالا .

فقال حسين :

ـ كيف نكتب القرارات ، ولم نأخذ أقوال حمادة ؟ فقد تتضارب الأقوال مع القرارات .

ـ ليكتب حمادة أقواله ، وليقل إنه تفادى الاصطدام بطفل ، وسأكتب القرارات ، وعليك ياحسين كتابة أقوال السائق ، ولاتنس أن تبين إهماله فى ترك السيارة ، لأنى سأطالب أن يوقع عليه أشد الجزاء .

وتناول محمود ورقة وقلما وراح يكتب :

قرارات مجلس التحقيق

بعد أخذ أقوال الشهود ، وسؤال حضرة حمادة أفندى حمودة ، تبين أن حضرة حمادة أفندى كلف القيام بمأمورية حكومية لاتحتمل التأجيل ، لما قد يترتب على تأجيلها من ضياع أموال كثيرة على الحكومة ، فاتجه إلى سيارة المصلحة ، فلم يجد السائق وبحث عنه كثيرا بلا جدوى ، ولما كان مرخصا لحضرته بقيادة سيارات المصلحة ، لم ير بدا لمصلحة العمل من قيادة السيارة بنفسه ، وخرج بها ، وكان يسير بسرعة متوسطة ،وقد شهد بذلك جميع الشهود ، وفى أثناء سيره عبر طفل الطريق فجأة ، فلم يسع حمادة أفندى إلا أن ينحرف بالسيارة عن طريق الطفل ، معرضا نفسه للخطر ،

فارتطمت السيارة بالحائط ، وتهشمت . والمجلس يرى أن الحادث وقع قضاء وقدرا ، ويوصى بالآتى :

١ ـ مجازاة سائق السيارة ، لإهماله وترك سيارته ليكون عبرة للسائقين .

٢ ـ خصم تكاليف التلف على جانب الحكومة .

والمجلس يترك الرأى الأخير لعزتكم .

رئيس أعضاء

وانتشر عقد المجلس ، وقد شاع الرضا فى النفوس ، وحمد أعضاء المجلس الله الذى هيأ لهم هذه الفرصة الذهبية ، لخدمة المديرفى شخص صهره العزيز ، وباتوا يترقبون الترقيات بقلوب مطمئنة .

نذالة..



مصطفى وفوزى موظفان ، جمعهما مكتب واحد ، وفرق بينهما كل ما عدا ذلك ، فمصطفى موظف حديث خدمة بالحكومة ، انحدر من أسرة عريقة فى التجارة ، فكان متطبعا بطباع التجار، لا يحسن مايحسنه أبناء الموظفين من تردد وجبن وخور ، وتملق للرؤساء موروث على مر السنين ، وهو شاب فى مقتبل العمر ، تخرج فى الجامعة ، وكان يعد نفسه للأعمال الحرة ، ولكن ظروفا طارئة اضطرته إلى الالتحاق بالحكومة ، فكان غريبا على الوسط الذى اضطر إلى أن يعيش فيه ، وكان ينتقد تصرفات الموظفين ، ولايرتاح لنظمهم ، وكثيرا ما كان يجهر بانتقاداته ، ويسخر من ذلك التكلف الممقوت الذى تصطبغ به حياتهم . ومصطفى شاب متوسط القامة ، سمح الوجه ، لا يرى إلا مبتسما ، لم يعبس فى وجه إنسان ، خدوم كريم ، يبذل ما فى وسعه لإرضاء الآخرين ، وقد يكلف نفسه شططا ليساعد كل من يلجأ إليه ، وما أكثرهم ! وقد كابد مصطفى خسائر مادية كبيرة ـ إذا قيست بمرتبه ـ من جراء مساعداته الآخرين ، فكم شخص استدان منه نقودا ولم يرجعها ، وكم شخص استعار أشياء ولم يفكر فى ردها ! ومع ذلك،

وبالرغم من ذلك ، لم يتبرم ولم يتذمر ولم يتعظ ، بل استمر على ماهو عليه ، فإن طبيعة مد يد المساعدة إلى غيره متأصلة فيه ، وحياءه الشديد يمنعه أن يرفض الانسان طلبا ، أو يخيب له رجاء .

وفى يوم قصده زميل كان يعلم هذا الضعف ، وطلب منه مبلغا كبيرا لم يكن عنده ، فما فكر فى الاعتذار ، بل انطلق إلى أخيه ، واستدان المبلغ للزميل ، وكما هى العادة ، لم يرجع الزميل شيئا فلم يسأله مصطفى رد ما أخذ ، بل راح يرد المبلغ لأخيه من مرتبه ، وقد شاع بين الزملاء أنه ثرى ، فما سأل أحدا شيئا ، وما شكا كزملائه أبدا ، والحقيقة أنه ليس بغنى ، وكثيرا ما مرت به أوقات عصيبة ، ولكنه ما فكر فى الاستدانة ، ولن يفكر فيها ولو مات من الجوع ، فهو يعتقد أن مذلة الدين أقسى من مذلة البطن، وهو محبوب من صغار الموظفين والعمال ، يلجئون إليه ليستشيروه فى أخص شئونهم ، وطالما عملوا بما أشار به عليهم ، فقد عرفوه حصيف الرأى . والعجيب فى مصطفى أنه متحدث من الطراز الأول، يتدفق بيانا بين من يعرفهم ، أما إذا وقعت عينه على غريب فى المجلس ، فهو الغبى الذى لا يبين ، ، الأعجم الذى لا ينطق . وهو طيب القلب ، لا يحقد على أحد ، ويتمنى الخير للجميع ، ومع ذلك لا يحبه أنداده ، ويغارون منه ، وينفسون عليه ، ولايحبون له الخير .

ومصطفى حساس ، لايطيق أن يمس شعوره أحد ولو من

بعيد ، ويعتقد أن الناس جميعهم مثله ، فيحاسب نفسه قبل أن ينطق بشيء ، حتى لا يجرح شعور أحد ، أو يسيء إلى إنسان، وهو يتحكم في أعصابه شيئا ما ، فلا يستفز سريعا ولايثور ، ولكن إذا مس كرامته إنسان ، أو وجه إليه مايشم منه إهانة ، ولو من بعيد ، فإنه يثور ثورة لاتبقى ولا تذر ، فلا يتبصر في العواقب ، ولا يهتم بالنتائج .

هذا حال مصطفى . أما فوزى زميل المكتب ، فهو رجل في العقد الرابع ، خدم الحكومة عشرات السنين ، كمايقول في كل مناسبة وبلا مناسبة ، نصيبة من العلم محدود . وكان يحس هذا النقص ، ولا يحب أن يعرف عنه ، فكان كلما حادث مصطفى ، حاول أن يفهمه أنه عالم ، وكان يقلل من قيمة المؤهلات الدراسية ، ويدعى أن الحياة خير جامعة ، وكان يشيد بذكر الخبرة التى يكتسبها الموظف على مر السنين ، ويعلم الله أنه لم يكتسب طوال المدة التى قضاها في الحكومة شيئا ، فما كان يقوم بعمل يكسب صاحبه خبرة . وكان مصطفى يستمع إليه وهو صامت ، فلا يعارضه ولايوافقه ، لأنه يعلم أن مركب النقص يعمل عمله فيه ، وكان فوزى يحاول ما وسعه أن يحيط نفسه بهالة من المهابة ، وأن يلبس ثوب الرؤساء ، ولكن هيئته ما كانت تساعده على القيام بهذا الدور ، فكان يأتى أعمالا ، وتصدر منه أقوال ، تجعل مصطفى يبتسم سخرية . كان إذا قابل من يظن أنه أقل منه شأنا كشر في

وجهه ، وشمخ بأنفه ، ونظر إليه شزرا من طرف عينه . وكلمه مترفعا . أما إذا قابل أحد رؤسائه ، فالحال على النقيض من ذلك ، فالابتسامة العريضة تحتل وجهه ، والانحناءة التقليدية تجثم فوق ظهره ، والرقة والعذوبة تتدفق من فيه . كان فوزى نعامة أمام رؤسائه ، أسدا على مرءوسيه ، ولم يكن فوزى متكلفا فى ذلك . بل كان هذا الخلق طبيعة فيه . يعتقد أن للرئيس الحق فى أن يعامل مرءوسيه معاملة السيد للمسود ، وهو لا يرى غضاضة فى أن يهينه رئيسه ، أو ينال منه ، فهذا من حقه ، ولم يكتسب هذا الخلق من طول المد ة التى قضاها فى الحكومة وحسب ، بل ورثه فيما ورث عن آبائه من عادات ، فهو موظف عريق الآباء فى الوظائف . كان فوزى لا يتحدث إلا عن سيارة الأسرة ، وعما تتكلفه من وقود وإصلاح ، ومرتب سائقها الذى يعدل مرتب موظف فى الدرجة السادسة ، وعن مرض طباخهم ، وسفر مربية الأولاد وحالة محاصيل عزبهم ، ليدخل فى روع مصطفى أنه من أبناء الأثرياء ، ولو علم أن مصطفى ليس ممن يقيس أقدار الناس بماعندهم من مال، لوفر على نفسه هذا الحديث التافه ، الذى كرره مئات المرات ، ولرحم شباب مصطفى ورأس مصطفى من هذا العبث . وكثيرا ما قال لمصطفى إنه يضطلع بعمل خطير ، كله مسئولية ، وإنه لايوجد فى المصلحة من يقوم به غيره ، وأنه لوقام بعمله موظف آخر ما كان نصيبه إلا السجن بعد أيام ، ثلاثة على أقصى

تقدير ، وما كان فوزى ليستريح بإجازة أبدا ، وكان يدعى أن مصلحة العمل تستدعى عدم قيامه بها ، وأنه لو نالها لارتبك العمل ، ولوقف دولاب المصلحة . والحقيقة أنه كان يخشى أن يحل آخر مكانه فى أثناء غيابه ، فتنهار تلك السمعة ، وتتقوض دعواه التى أنفق فى تعزيزها سنين وسنين . واضطر مرة أن يغيب أسبوعا بسبب موت أمه ، فقام مصطفى بعمله فى أثناء غيابه ، وفى قولنا « قام بعمله » تجاوز كبير ، فما وجد مايقوم به ، ومن الغريب أن الأسبوع انقضى فى أمان ، ولم يغيب مصطفى فى السجون !

وقد حاول أن يفرض سلطته على مصطفى أول ما التحق بالمكتب ، وأن يعامله معاملة الرئيس للمرءوس ، ولكن مصطفى ثار عليه ، ونال منه ، فلم ير فوزى بدا من الانهزام والتودد إليه ، وما كان فوزى يحب مصطفى وإن أظهر له عكس ذلك ، بل كان يتمنى ألايجمعهما مكتب واحد ، وكانت أمنيته العزيزة أن ينقل مصطفى إلى مكان آخر ، وأن يعين مكانه موظف صغير ليأمره وينهاه ، ويزجره ويتهدده ويتوعده ، فينفس عن رغبة السيطرة والرياسة المكبوتة والتى لم تجد لها منفذا إلا إلى السعاة والخدم ، من يوم أن جاء مصطفى إلى هذا المكتب . وكان مصطفى يعلم علم اليقين أن فوزى لا يحبه ، ومع ذلك لم يكرهه ، ولم يحمل له فى نفسه شيئا ، فما كان فوزى ليستحق أن يحب أو يكره .

وكان فوزى محبا للجدل ، يتحدث فى كل موضوع ، ويعتقد

أنه ملم بكل فن ، فكان يعارض مصطفى في كل ما يقوله ، حتى في البديهيات ، حبا في المعارضة ، وانتهاز الفرصة للتحدث ، لإبداء ماعنده من آراء ، وكان معجبا بآرائه ، وقد يحسد نفسه أحيانا ــ بينه وبين نفسه ــ على تلك الآراء الناضجة الصائبة ، التي يجود بها في معرض النقاش . وبعد أن كان مصطفى يستمع إليه في بادء الأمر، لايعارضه ولايجادله ، انقلب الحال أخيرا ، وأصبح النقاش والجدل طابع المكتب ، فما كان يمر يوم من غير مناظرة ، وماكانا يخرجان من مناظرتهما بنتيجة ، وما حاول أحدهما أن يقنع زميله ، كان كل منهما يعتقد أن زميله لن يقتنع أبدا .

وفي يوم جلس فوزي ومصطفى يتحدثان ، ولم تبتدء مناظرتهما اليومية بعد ، ودخل رئيسهما ، وخلفه كلب أبيض ، فنهض فوزي ، وأسرع إليه ، وسلم عليه ، وقد انحنى انحناءة متكلفة ، وقدم له سيجارة ، ثم سأله عن صحة الأسرة والبك الصغير ، وهو يهش ويبش ، ثم قال :

ـ كلب جميل يابك . عندى كلبة جميلة ظريفة مدهشة تصلح له . ما رأيك يابك في أن أحضرها اليوم إلى البيت . لست في حاجة إليها ، كل ماأطمع فيه أن آخذ كلبا من نسلهما ، سيكون جميلا ولا شك .

ــ لابأس . سأنتظرك في الخامسة .

وخرج الرئيس وترك كلبه ، وعاد فوزي إلى مكتبه ، وقد علا

وجهه البشر. حسب أن هذه مصاهرة بينه وبين رئيسه ، تمكنه من زيارته إن شاء ، وحينما يحلو له !

ودخل فراش ، وطلب ورقة بيضاء لبعض حاجته ، فنهره فوزى ثم طرده ، فالتفت إليه مصطفى وقال :

ــ لو أنك عطفت على هذا المسكين عطفك على كلب الرئيس ، لكان أسعد الناس .

ــ لايا مصطفى . لابد أن تأخذ هؤلاء الناس بالشدة .

ــ ولمَ ؟

ــ لأنك لوأظهرت لهم العطف لأفسدتهم .

ــ لو عطفت عليهم لواسيتهم ، واكتسبت قلوبهم . ألايكفيهم ماهم فيه من بؤس ؟ ضآلة مرتب ، وحقارة عمل ، ومعاملة قاسية . هذا كثير.

ــ لهذا خلقوا .

ــ من قال ذلك ؟

ــ العرف الحكومى .

ودخل أحد الزملاء المكتب ، وراح يقص كيف احتك أحد أفراد الشعب بموظف ، وكيف نال الموظف منه ، وطرده ، فأظهر فوزى سروره ، وقال :

ــ ينبغى أن يعرف هؤلاء المتعجرفون أقدارهم .

فقال مصطفى :

ـ بل ينبغى أن يوقف الموظفون عند حدهم ، وأن يعلموا أن الشعب هوالذى يدفع رواتبهم ، فعليهم أن يعملوا على راحته .

ـ الموظفون هم الحكومة المسيطرة الآمرة الناهية .

وابتدأت المساجلة اليومية ، فقال مصطفى :

ـ الحكومة مجموعة أفراد من الشعب ، يدفع لهم الشعب مرتباتهم ، ليعملوا ما فيه مصلحته .

ـ الحكومة هى السلطة المسيطرة على الشعب ، المتحكمة فى الشعب ، التى يعمل لها الشعب . وهى قسمان : قسم يقضى مصالح القسم الآخر ، وقسم يجبى من الشعب الضرائب ، ويحصل المخالفات ، ليدفع رواتب الجميع .

ـ ما هذا الوضع المقلوب ؟ الحكومة الرشيدة هى التى تعمل لمصلحة الشعب ، فترفع مستوى معيشته ، وتنشر بينه العدل والمساواة والطمأنينة ، فهى محط أنظاره ، ومعقد آماله .

ـ قلت لك إن الحكومة هى السلطة الآمرة الناهية ، المسيطرة المتحكمة ، وإنها سيدة الشعب لاخادمته . أتحاول أن تنال منها ؟

فضحك مصطفى ، وقال ساخرا :

ـ دائما تلجأ إلى الأساليب العتيقة ! أتحاول أن توقع بينى وبينها ؟ إنى لا أحاول أن أنال منها ، بل أحب أن أضع الشىء فى موضعه ، وأن أفهمك وأمثالك أنكم خدام الشعب ، لا اسادته المتحكمون فيه .

ـ إننا لانخدم الشعب ، بل نخدم أنفسنا أولا وأخيرا . فنصفنا يقوم بتعييناتنا والنظر فى شكاوانا ، ورفع الغبن عنا . وترقياتنا ، ومحاكماتنا ، وتحرير استمارات مرتباتنا ، ومراجعة هذه الاستمارات وصرفها ، وبدل سفرنا وإجازاتنا ، وتنظيم لوائحنا وقوانيننا ، وعمل ميزانيتنا ، والتعاقد مع الموردين لتوريد حاجاتنا ، وإنشاء مخازن لتخزين مهماتنا ، وتعيين أمناء لهذه المخازن ، ثم مراجعين ومفتشين وحاسبين ، وشراء سيارات لتنقلاتنا ، وإنشاء ورش لصيانة هذه السيارات و ... و ... ونصفنا الآخر يقوم بتحصيل المال وجبايته لسد حاجات الجميع.

ـ والحكومة ماوجدت إلا لمصلحة الشعب : فوزارة المواصلات مثلا تمد الخطوط الحديدية والتلغرافية والتليفونات لتسهيل المواصلات ، ونقل الحاصلات و ...

ـ أعرف كل هذا يا أستاذ ، ووفر على نفسك سرد اقتصاديات النقل وقل لى : هل تقوم الحكومة بهذا لمصلحتها أو مصلحة الشعب ؟؟ مما لا شك فيه أنها تقوم بهذا لمصلحتها أولا ، فإيرادات المواصلات ركن مهم من أركان الميزانية ، وكلما زادت الإيرادات تضخمت الميزانية ، وزاد عددنا ، وكثرت علاواتنا، وترقياتنا ، وتميزنا عن الشعب المحكوم .

ـ إن الأصل فى هذه المشروعات هو توفير الراحة للشعب ، وجاء الربح نتيجة .

ـ لا . بل الربح هو الأصل .

ـ إنك بهذا تجعل الحكومة تاجرة

ـ وهل تختلف الحكومة عن التاجر ، فالتاجر يعمل على تنمية موارده ، والحكومة تعمل على زيادة مواردها .

ـ لكن التاجر ينفق مايكسب على نفسه ، والحكومة تنفق ماتجبى على الشعب .

ـ لمصلحتها .

ـ بل لمصلحة الشعب ، فهى لمصلحته تشق الترع ، وتطهرالمصارف ، وتصلح الأراضى ، وتعالج المرضى ، وتصون الأمن .

ـ كل هذا لمصلحتها ، فما شقت الترع ، وماطهرت المصارف ، وماأصلحت الأراضى ، إلا لتتمكن من جباية ضرائب جديدة ، وماعالجت المرضى إلالأنها تعلم أنها لاتستطيع أن تجبى من عاجز ، وماصانت الأمن إلا خشية أن يسرق اللصوص ماعند الناس ، فلاتجد ماتجبيه.

فضحك مصطفى وقال :

ـ إن تفكيرك عجيب ياأستاذ ، ولافائدة ترجى من مناقشتك.

ـ خيرا لك أن تعترف بخذلانك .

ـ أهذه آراء تقال ؟

وتلفت فوزى ، فلم يجد كلب الرئيس فى الحجرة ، فقفز

مفزوعا ، وصاح بلهفة :

ـ كلب الرئيس ، أين كلب الرئيس ؟

وأخذ يبحث عنه في الحجرة ، وتحت المكاتب ، ولما لم يجده ، خرج يعدو كالمجنون، وانقضت مدة ، وعاد فوزى حاضنا الكلب العزيز وهو يلهث ويتصبب عرقا ، وما إن لمحه مصطفى حتى ابتسم وقال :

ـ كلب الرئيس رئيس الكلاب ، ولأجل الرئيس يكرم الكلب !

فقال فوزى :

ـ لاوالله ، إنى أحب الكلاب .

فحمد مصطفى الله على أن فوزى لايحبه ، وقال معابثا :

ـ وتحب الرئيس ؟

ـ إنه رجل طيب . كلنا نحبه .

ـ ولم كلنا هذه ؟

ـ ألا تحبه ؟

ـ لاأحبه ولا أبغضه . ولكن تصرفاته لا تعجبنى .

ـ ألم تقل لى إنكم تنتهزون المناسبات لإرضائه .

ـ أنا ؟ لم أقل ذلك ؟

ـ بل قلت لى أكثر من ذلك . فلم تنكر ماقلت ؟ وماتخشى الآن ؟

ـ إنك تختلق أشياء لم أقلها .

ـ بل قلتها .

ـ أبدا .

ولمح فوزى من زجاج الشباك الرئيس مقبلا ، فاتخذ هيئة رجل وصاح :

ـ كذاب .

ولم يتحمل مصطفى ذلك ، وجرى الدم حارا فى عروقه ، فصاح وهو ينهض :

ـ بل أنت الكذاب . إنى لا أكذب أبدا .

وفتح الباب ، ولمح فوزى الرئيس ، فتظاهر بأنه لم يره ، وصاح فى مصطفى :

ـ أفندى سافل .

فهجم مصطفى عليه ، ولطمه ، فأسرع الرئيس إليهما وهو يصيح :

ـ ماشاء الله ... ماشاء الله ...

وسأل فوزى عما حدث ، فتمنع أولا ثم تدفق ، وراح يكيل التهم فى نذالة إلى مصطفى ، الذي لم يحاول أن يدافع عن نفسه .

وأنذر مصطفى ، وخصم منه ثلاثة أيام ، ونقل إلى مكتب آخر، وفرح فوزى بعد أن نال مبتغاه ، وأصبح المكتب له وحده لاينافسه فيه منافس ، وبات يدعو الله أن تكون درجة الموظف

الجديد أقل من درجته حتى يتمتع بالرياسة ، التى تصبو إليها نفسه والتى يحن إليها ويحلم بها .

مربي النشء



دخل مدرس اللغة العربية الفصل ، فقام له التلاميذ فحياهم برفع يده إلى رأسه ، ثم أشار لهم أن اجلسوا ، فجلسوا ، وحاول كل منهم فى أثناء جلوسه أن يكون الصوت المنبعث من مقعده المتحرك أكثر ارتفاعا من أصوات المقاعد الأخرى ، فحدثت جلبة عالية ، ولما هدأت الأصوات ، تناول أصبع الطباشير ، واتجه إلى السبورة ، وشب على أطراف أصابعه ، وكتب فى أعلى السبورة بخط جميل « قواعد » ففتحت القماطر ، وأخرجت كراسات القواعد والمساطر والريش وأقلام الرصاص ، وحدثت جلبة من جراء فتح القماطر واغلاقها ، لا تقل عن الجلبة التى حدثت من المقاعد ، وتناول المدرس كراسة وفتحها ، وراح ينقل منها على السبورة فى سكون ، والتلاميذ ينقلون ما يكتب فى كراساتهم ، وهم صامتون. وكان المدرس كلما بيض السبورة مرة ، نظفها ثم أعاد تبييضها ، وانقضت الحصة فى كتابة ، ولم يشرح الأستاذ شيئا ، ودق الناقوس ، فالتفت إلى تلاميذه ، ونطق بالشرح الوحيد ، الذى كان يجود به عقب كل درس جديد .

ــ كل شىء واضح ، أوضح من هذا لا يكون ، هذا الدرس لا يحتاج إلى شرح أو تعليق .

وأغلق كراسته ، وخرج بقامته القصيرة الممتلئة ، وبذلته الصوفية الرمادية السميكة المنقوطة بنقط بيضاء ، ورباط رقبته الزاهي المخطط ، المصنوع من قماش قبائه .

وكان التلاميذ الذين رسبوا في الفصل ، والذين أسعدهم الحظ أن كانوا من تلاميذ الأستاذ في السنة الماضية ، من المحظوظين ، فما كانوا يجشمون أنفسهم مئونة نقل دروس القواعد ، ولماذا ينقلونها وكراسة العام الفائت لا تختلف عن كراسة العام الحالي في قليل ولا كثير ؟ فهي هي لم يتغير منها حرف ، ولن تتغير ، فالأستاذ من المحافظين الذين لا يحبون التبديل والتغيير ، وكراسة القواعد التي يحملها الأستاذ ما فارقته أبدا ، من يوم أن عين مدرسا بالمدارس الثانوية ، وهو يحب صحبتها ولا يطيق فراقها ، ولكنا لا ندري أكانت تبادله عواطفه ، أم تستصحبه على كره . وشاع بين التلاميذ أمر العلاقة الكائنة بين الأستاذ وكراسة القواعد، فساءهم دوام الود بينهما، وكما هو شأن الحاسدين ، فكروا في أن يسعوا بينهما بالباطل ، وإيقاع الجفوة والتفريق ، فكروا ما شاء لهم أن يفكروا ، وأخيرا قر رأيهم على أن يسرقوا الكراسة منه ، ليروا ما يفعل الصب المتيم .

وفي يوم من الأيام ، جلس يصحح كراسات التطبيق في الفصل، وقد وضع كراسة القواعد على المكتب ، والتف بعض التلاميذ به ، فغافله أحدهم ، ومد يده بخفة ، وسحب كراسة

القواعد ، وعاد إلى مكانه بسلام . ودق الناقوس ، فلم يتحرك الأستاذ ، واستمر فى تصحيح الكراسة التى فى يده . ومرت فترة الخمس الدقائق بين الحصة والأخرى ، ودق الناقوس الثانى معلنا بدء الحصة الجديدة ، وأقبل مدرس الحساب ، فلما لمحه الأستاذ ، اعتذر له ، وحمل الكراسات الباقية ليصححها فى البيت ، وتناول أوراقه على عجل ، فلم ينتبه إلى اختفاء كراسة القواعد الحبيبة إليه .

مرت أسابيع ولم ير التلاميذ كلمة « قواعد » على السبورة ، وقسمت الحصص بين التطبيق والإنشاء والمطالعة ، وكانت موضوعات الإنشاء عتيقة كلها ، موضوعات لا جدة فيها ، أعدت لأجيال ولت ، وما أعدت للجيل الجديد . كان الأستاذ يصر على أن الجمل « سفينة الصحراء » من وسائل النقل فى القرن العشرين ، وما فكر فى أن يعالج فى موضوعاته مشكلة من المشاكل العصرية الكثيرة ، أو يترك للتلاميذ حرية معالجتها ، بل كان يكتب لهم على السبورة عناصر الموضوع ، وما على التلاميذ إلا أن يربطوا تلك العناصر بعضها ببعض ، بأداة من أدوات العطف ، فكانت جميع مواضيع الإنشاء لا تختلف باختلاف التلاميذ ، بل هى هى ، صورة واحدة ، لا ينافسها فى الثبات والاستقرار وعدم التغير ، إلا كراسات التطبيق ! وكانت الدرجات تقدر على قدر النظافة والخط ، فبقدر النظافة والخط تكون الدرجة ، وما كان تلميذ من التلاميذ ينال فى الإنشاء أقل من ٧ درجات من عشر ، مهما كان

الخط رديئا ، فكيف يهون عليه ــ بالله عليك ــ أن يعطى موضوعا كتبه بنفسه درجة دون تلك ؟! وفى ذات يوم ، قال له التلاميذ إنهم قد اشتاقوا إلى دروس القواعد ، فقد انقضت مدة طويلة لم يأخذوا قواعد فيها . فقال الأستاذ لهم بصوت بذل جهدا كبيرا فى أن يكون طبيعيا ، لا أثر للارتباك أو الكذب فيه :

ــ أخذنا دروسا كثيرة فى القواعد فى أول العام ، حتى طغت دروس القواعد على دروس المطالعة والتطبيق ، فعلينا أن نعوض من ذلك بالمطالعة الكثيرة ، فالمطالعة خير وسيلة لتقويتكم فى اللغة .

وأمرهم أن يخرجوا كتب المطالعة ، وفتحت القماطر ، وأخرج التلاميذ كتب المطالعة ، إلا ذلك الذى سرق كراسة القواعد العتيدة، فأنه أخرجها ، وخبأها بين طيات ملابسه ، ثم أغلق القمطر ، ورفع أصبعه يستأذن فى الخروج لقضاء حاجة ، فأذن له الأستاذ ، وراح سارق الكراسة يبحث عن فراش المكتب ، فلما عثر عليه قال له :

ــ عثرت على الكراسة التى يبحث عنها الأستاذ ، فرأيت أن أعطيك إياها ، بدلا منه ، حتى لا تحرم المكافأة التى وعدك إياها .

فتناول الفراش الكراسة منه وهو يتمتم : « متشكر .. متشكر» ، وأسرع نحو الفصل ، واقتحمه دون استئذان رافعا الكراسة بيده إلى أعلى ، وهو يصيح : وجدتها ... وجدتها .

فالتفت الأستاذ إلى مصدر الصوت ، فرأى الفراش وفى يده

كراسة القواعد ، فترك كتاب المطالعة يسقط من يده ، وهرول نحو الفراش ، واختطف الكراسة منه وهو يتمتم :

ـ الله يفتح عليك يا محمد يا بنى ... الله يعمر بيتك كما عمرت بيتى .

وأسرع إلى السبورة ومسحها ، وتناول أصبع الطباشير وكتب: « قواعد » ، وانغمس فى الكتابة والنقل دون أن يحس الضحك الذى تردد فى جنبات الفصل .

ومرت الأيام ، وعلم الأستاذ أن مفتش اللغة العربية سيمر على المدرسة فى نهاية ذلك الشهر، فأمر التلاميذ أن يخرجوا كتب المطالعة ، وأن يفتحوها عند موضوع « نكبة البرامكة » وأمرهم أن يضبطوا الكلمات فى أثناء قراءته ، وراح يقرأ متمهلا ، والتلاميذ يشكلون الكلمات . ولما انتهى من قراءة القطعة ، راح يسمعها من تلاميذ الفصل تلميذا تلميذا ، وانقضى أسبوعان ، وقد أتم تلاميذ الفصل جميعهم قراءة « نكبة البرامكة » ، حتى أصبح فى مقدور بعضهم أن يقرأها دون النظر فى كتاب ، وابتدأ الأسبوع الثالث، وأخذ الأستاذ فى مناقشة تلاميذه فى إعراب بعض الجمل الصعبة ، وتبيين الإبدال والإعلال ، والاستعارات والكنايات والتشبيهات ، وانقضى الأسبوع الثالث ، وقد تمكن الأستاذ من سد جميع المنافذ أمام المفتش ، فلن يجد منفذا واحدا ينفذ منه ، ولن يجد إلا أساتذة متضلعين متفقهين ، لا تلاميذ يصيبون حينا ، ويخطئون

أحيانا .

وفى ذات يوم ، أقبل المفتش إلى المدرسة للتفتيش ، فطلب الأستاذ من تلاميذه إخراج كتب المطالعة ، وأمرهم أن يفتحوها عند موضوع « نكبة البرامكة » ، وانتظر تشريف المفتش بجنان ثابت ، وسمع أصواتا فى الممر الخارجى ، فأيقن أن المفتش قد أقبل ، فأشار إلى أحد تلاميذه ليقرأ ، وتظاهر بالانهماك فى الدرس ، ودخل المفتش وناظر المدرسة ، فقام التلاميذ لهم فى هدوء ووقار ، ولم تحدث مقاعدهم تلك الجلبة التى تعودت أن تحدثها كلما قاموا أو قعدوا ، فكأنما استعارت وقارها من وقارهم . وصمت التلميذ الذى كان يطالع ، ولكن الأستاذ أشار له قائلا :

ــ استمر .

فاستمر فى القراءة ، وما لحن ولا تلجلج ، وكانت مخارج ألفاظه سليمة ، واستوقفه المفتش أكثر من مرة يسأله بعض ما عن له ، فكانت إجابته صحيحة كلها ، فحسب المفتش أن المدرس قد اختار تلميذا قويا ، فاختار آخر ، وراح يناقشه فما كان أقل من الأول فى تفوقه ، واختار ثالثا ورابعا وخامسا ، فكان الجميع عند حسن الظن بهم ، ووقف الأستاذ وقفة خطابية ، وقال :

ــ إنى أعارض ما جاء فى الكتاب ، ولا أوافق عليه .

فالتفت المفتش إليه وقال :

ــ ولماذا يا أستاذ ؟

ـــ إن الكتاب يرى أن هارون الرشيد كان محقا فى قتل البرامكة ، والتنكيل بهم ، وإنى لا أوافق على ذلك .

ـ ولم ؟

ـ كان البرامكة وردة حولها شوك ، فكان على هارون الرشيد أن يقلم الشوك ، ويحتفظ بالوردة . إن نكبة البرامكة غلطة من غلطات الرشيد ، بل هى أكبر غلطة ارتكبها مدة خلافته ، حتى إن شعراء الخليفة نفسه بكوهم ، ورثوا فضلهم ، استمعوا إلى أبى نواس ، شاعر الخليفة الأول ، وهو يرثيهم .

وراحت أبيات الشعرتتدفق من فيه ، وتتابعت الحجج والبراهين تترى ، وظهر العجب على وجوه التلاميذ ، فما رأوا أستاذهم متدفقا أبدا ، وما سمعوه محاضرا قبل يومهم ، وما عرفوه قوى الحجة ، غزير المادة . وأتم الأستاذ محاضرته ، فاتجه إليه المفتش وصافحه مهنئا ، والتفت إلى التلاميذ ، وقال :

ـــ أهنئكم بأستاذكم ، فمن حسن حظكم أن يكون الأستاذ الجليل أستاذكم ، حتى تستفيدوا بعلمه الغزير ، وبيانه المتدفق ، وإنى لأرجو أن تكون نتيجة اختباركم طيبة ، تتناسب وعظم المجهود الذى يبذله الأستاذ . إن رسب أحدكم فلا عذر له ، ولن يكون الذنب إلا ذنبه .

وخرج المفتش مغتبطا ، وهو لا يدرى أن الحصة كانت تمثيلية ، لا يجود الزمان بمثلها إلا مرة كل عام .

لا تنه عن خلق



وقفت سيارة فخمة ، نزل منها موظف نحيف الجسم ، قصير القامة ، غائر العينين ، أسمر اللون ، بارز عظام الوجنتين ، فى الخمسين من عمره . ولما لمح السعاة والفراشون السيارة ، وقفوا فى خشوع استعدادا لتحيته ، وأسرع أحدهم إلى الدهليز الطويل ، ليفتح له باب مكتبه ، وصعد الموظف درجتين ، ورد على تحية الفراشين والسعاة بهزة خفيفة من رأسه ، وهو منطلق فى الدهليز الطويل ، وقد زوى ما بين حاجبيه ، وضيق بين جفنى عينيه ، وتكلف الجد والحزم ، ولو رآه إنسان عادى ، لحسبه رجلا صارما حازما ، ولكن لو تفرس فيه خبير ، وتطلع إلى فمه ، ولمح انفراجه لعلم أنه لا يعد فى الرجال الحازمين .

كان مدير المصلحة ، وكان يحب أن يعرف عنه الحزم والقسوة ، وقد قسا فعلا على كثير من مرءوسيه ، ليدخل فى روعهم أنه مدير يعرف كيف يدير مصلحته ، والحقيقة أنه ما كان يعرف عن مصلحته شيئا ، فما ترك مكتبه أبدا ، وما اندمج فى مرءوسيه ، وما مر بالمكاتب ليرقب سير العمل ، بل كان يشرف على العمل من مكتبه ، وما كان يعلم إلا ما يريد كبار الموظفين أن يعلم ، وما

كان يدرى بما يخفونه عنه ، فكان يظن أن المصلحة تسير على خير مايكون ، و أنه ليس فى الإمكان أبدع مما كان ، ولو أنه درى بما يجرى فى المصلحة خلفه ، لعلم أن مصلحته بنيت على خمس : الفوضى ، والظلم، والرشوة ، والسلب ، والنهب . كانت الفوضى شاملة ، فهذا موظف يتغيب أياما وأسابيع ، ولا من نظر ولا من سمع ، وهذا يستحق الترقية ، ولكن ترقيته تضر بعض المحاسيب ، فلا تظهر أوراقه ، ولا يعرف من أخفاها ، وهذا يقدم الهدايا فى كل مناسبة وبلا مناسبة ، ليضمن الرضا والرعاية ، وقد كان الجميع يتنافسون فى الانتفاع بما فى المصلحة ، والغريب أن الجميع ناقدون، ينقدون ما يحدث فيها ويتحسرون ، وإن من يسمعهم وهم يتحدثون ليعجب لهذا الإجماع على الفوضى الضاربة فى المصلحة، ولكن كان كل منهم يلقى اللوم على الآخرين ، حتى يبقى له وحده كل شىء ، فكأنما كان شعار كل منهم « نفسى ...نفسى » وكأنما كان كل منهم يحسب أن السلب والنهب من حقه وحده ، وأن الآخرين ينافسونه فيه دون وجه مشروع .

وكان المدير نفسه جشعا طماعا ، يتمنى أن ينقل كل ما فى المصلحة إلى داره ، ولكنه كان يخشى كلام مرءوسيه ، كان يحب أن يظهر أمامهم بمظهر الرئيس العف اليد واللسان ، ولكن ليس معنى هذا أنه ما كان يأخذ شيئا ، بل كان يأخذ أشياء كلما ظن أن العيون نائمة عنه ، ولم تكن العيون نائمة غافلة ، بل كانت متناومة

متغافلة ، وكانوا يعلمون أنه يأخذ ولا يتعفف ، وكان من نتيجة تستره ومحاولته إخفاء ما يأخذ ، أن كثر اللغط حوله ، واتهم بأخذ أشياء بولغ فى تقديرها ، ولا غرو ، فكل شىء يبالغ فيه فى مصر، فالخبر البسيط العادى يصبح خبرا هائلا ، متداولا على كل لسان ، منسوبا إلى المصادر العليمة ببواطن الأمور ، بعد صدوره ببضع ساعات ، وغالبا ما ينتشر الخبر المختلق انتشار الريح ، ويصبح خبرا صحيحا سليما ، من العسير تكذيبه ، أو تشكيك الناس فيه ، فنحن شعب واسع الخيال ، يحب القيل والقال ، فكان نصيب عاصم من القيل والقال نصيبا وفيرا ، وقد جنى عليه الخيال الخصب ، فصوره فى صورة الرئيس النهم ، الذى تعمل المصلحة جميعها من أجله ، وكان للقائلين بذلك بعض العذر ، فقد كان المدير منزويا لا يدرى شيئا ، وكان كل رئيس يحب أن يعمل لنفسه شيئا يدعى أنه للمدير ، وكان جميع الرؤساء يعملون لأنفسهم أشياء باسمه ، فثبت فى الأذهان ما ثبت ، ورسمت له فى مخيلة مرءوسيه صورة تخالف ما يعتقد هو ، فهو يظن أن مرءوسيه يعتبرونه مثال المدير النزيه ، الشريف الأمين ، ولو دار بخلده ما يقال عنه ويروى ، لمات غما وكمدا .

وكان من عادته أن يلف ويدور حول ما يريد ، ولا يطلب شيئا بعينه ، بل كان يوحى ويلمح من بعيد ولا يصرح ، فإذا أراد صنع شىء فى المصلحة ، راح يقص أمام مرءوسيه كيف حاول أن يشترى

ذلك الشىء من السوق ، وكيف وجده غاليا ردىء الصنع ، ثم يردف أنه يبحث عن محل مضمون يصنعه له . فكان مرءوسوه يعرضون عليه صنع ذلك الشىء فى المصلحة ، فيأبى أولا ، ويتشدد فى الرفض ، ولكنهم يلحون ، فيلين قليلا قليلا ، حتى يصبح ألين من العجين ، ويصنع الشىء ، ويرسل إلى البيت العامر . وقد عرف المقربون منه هذا الخلق فيه ، فكانوا اذا سمعوا تلميحا منه ، عرضوا خدماتهم عليه من فورهم ، ويأخذون فى الإلحاح ، حتى يقبل جبرا لخاطرهم !

ودخل الموظف المسئول عن تحركات سيارات المصلحة على المدير ، وقبل أن يلقى السلام عليه ، نهض عاصم وصافحه ، وأجلسه على كرسى قريب ، وأخذ يحييه ويبالغ فى تحيته ، فعلم الموظف أن وراء هذا الترحيب ما وراءه ، فمن عادة عاصم أن يرحب بالموظف المسئول عن قسم بعينه إذا كان فى احتياج إلى شىء من ذلك القسم ، وكان يبالغ فى ترحيبه به ، فإذا ما انتهت الحاجة ، فلا ترحيب ولا استقبال حسن ، وإن كان من الأكرم أن يأمر فيطاع ، فلن يعصى له أحد أمرا ، ولن يرفض أحد أن يحمل له المصلحة ، وينقلها كلها إلى داره ، ومَن مِن الموظفين يعصى للمدير أمرا ؟

الصواب فى كل ما ينطق به ، والكمال فى كل ما يأتى من أفعال ، فإننا نطيع أولى الأمر منا ، ولو كانوا على خطأ ، إما جبنا وإما تملقا ورياء .

ولكنه لم يكن يحب أن يطلب شيئا بعينه ، فالتفت إلى الموظف وكانت درجته كبيرة ، وقال له :

ـ كيف حال العمل فى قسمك ؟

ـ على خير ما يرام .

ـ حافظوا على السيارات ، قطع الغيار أصبحت نادرة ، ولا تخرجوها إلا للمأموريات الضرورية فقط .

ـ إنى أرقب طلبات السيارات بنفسى ، ولا أوافق على خروج إحداها إلا لأمر ضرورى .

ـ هذا أفضل ، لو تعلم كيف ارتفعت أجور النقل بالسيارات ، لحافظت على سياراتنا ، تصور أنى طلبت من شركة من شركات النقل نقل جهاز ابنتى من مصر إلى الإسكندرية ، فطلبت رقما خياليا ، فلم أوافق ، وإنى أفكر فى مخاطبة شركة أخرى ، أصبحت الأسعار لا تطاق ، غلاء فى غلاء .

ـ وما ضرورة مخاطبة شركة أخرى والسيارات عندنا كثيرة ، ولن يكلفنا نقل الجهاز شيئا . سيارتان فقط تقومان بهذا .

ـ لا ، لا أحب أن أستغل سيارات الحكومة فى نقل أشيائى الخاصة ، ولا أحب أن أكلفها نفقات بلا مبرر .

ـ كم من خدمات جليلة قدمناها للحكومة بلا مقابل ، فلو استعملنا السيارات فى هذا النقل ، فكأننا قبضنا بعض ما لنا فى ذمة الحكومة .

ـ لا لا ، لن أستعمل سيارات الحكومة أبدا ، ماذا يقول الناس؟ استغل سلطة مركزه ؟ !

ـ هون عليك ، لن يقول الناس شيئا ، هذا شيء عادى ، فكم من مصالح أرسلت سياراتها لجلب الطيور والخضر والفواكه من الريف للموظفين ، بل إنى أعرف مصلحة أرسلت سياراتها إلى الواحات لشراء بلح وزيت وديوك رومية . أما نحن فلن نرسل سياراتنا إلى الإسكندرية لتوصيل الجهاز ، بل سنرسلها للبحث عن طرود فى الجمارك ، وبدلا من سفرها فارغة ، سنرسل الجهاز فيها ، ولن تتكلف الحكومة شيئا ، فقد كانت السيارات ذاهبة ذاهبة .

ـ إذا كان هذا فلا بأس . أما أن تخرج لى خاصة ، فلا أقبل أبدا .. أبدا .

ـ وسأكلفها إحضار برتقال لى من العزبة وهى عائدة إلى مصر، وتوصيله إلى التاجر الذى اشتراه ، كل هذا فى طريقها ، ولن تتكلف الحكومة شيئا .

ـ ما دامت الحكومة لن تتحمل شيئا ، فافعل ما بدا لك . إنى لا أقبل أن نستغل سيارات الحكومة أبدا .

ونهض الموظف وهم بالخروج ، ونهض عصام وخرج معه ، وسارا فى الدهليز ، وأسرع موظف نحو رئيس قسم السيارات ، ولما رآه برفقة المدير شاء أن ينسحب ، ولكن المدير استوقفه وسأله :

ـ ماذا تريد ؟

ـ لا شيء .. كنت ..

ـ ماذا .. انطق .

ـ أريد أن أبلغ الرئيس أن أحد الموظفين رؤى وهو ينقل بعض أشياء فى سيارة الحكومة ، فى أثناء تأدية مأمورية حكومية ..

فثار المدير ، وظهر عليه الغضب وصاح :

ـ ما شاء الله ! ما هذه الفوضى ؟ أريد أن أحقق هذا الموضوع بنفسى .

وعاد المدير إلى مكتبه ، وأحضر الموظف ، وصاح فيه :

ـ كيف تسمح لنفسك أن تستعمل سيارات الحكومة فى أشغالك الخاصة ؟

ـ لم أستعملها فى شيء ، كنت فى نفس الطريق المقرر لسير السيارة ، وكل مافعلته هو أنى اشتريت (فرد) أرز من تاجر فى الطريق . وتركته عند بواب المنزل ، وهو فى نفس الطريق .

ـ اخرس ، موظف لا ضمير له ، كيف تقبل أن تستعمل شيئا لا تملكه ، كيف تقبل أن تسرق ، إنها سرقة ، سرقة أموال الدولة .

ـ لم أسرق شيئا .

ـ استهلاكك للبنزين بلا مبرر سرقة ، استهلاكك للكاوتش سرقة ، لا فرق بينك وبين السارق أبدا ، السارق ينقص ممتلكات الدولة ، وأنت باستعمالك السيىء للسيارات تنقص ممتلكات الدولة.

ـ إنى لم أفعل شيئا .

ـ أخرج .. خصم ثلاثة أيام .

وفى صبيحة اليوم الثانى كانت سيارتان حكوميتان تحملان جهاز ابنة المدير ، وفى طريقها إلى الإسكندرية . وبعد ذلك بثلاثة أيام كانتا عائدتين محملتين برتقالا ، و « حلال لنا ، حرام على غيرنا » .

موظف حرب



نال عمر الشهادة الابتدائية ، والتحق بمدرسة ثانوية ، ولكنه لم يستطع أن يواصل تعليمه ، لعدم ميله إلى الدراسة أولا ، ولضيق ذات اليد ثانيا ، فالتحق بمحل تجارى ، وقد كان مرتبه ضئيلا لا يكاد يكفيه ، ومع ذلك كان يقتر على نفسه ، وكثيرا ماينام على الطوى ، ليشترى ملابس جديدة ؛ كان مفتونا بالظهور فى ثياب الأغنياء الوارثين ، وكان يعتقد ـ لقصور عقله ـ أن قيمة المرء فى ملابسه ، فإذا كانت ملابسه جميلة غالية ، فهو رفيع المقام ، وإن كانت ملابسه لا أثر للتأنق فيها ، فهو وضيع . وكان إذا قابل صديقا متأنقا عرض عليه مصاحبته ، وسار برفقته رافع الرأس ، يلتفت إلى المارة بين الفينة والفينة ، كأنما يقول لهم « هذا المتأنق صديقى ، فانظروا » . وكان إذا رأى صديقا فى ملابس قديمة ، فر منه كما يفر السليم من الأجرب ، وكان ينكر صلة القرابة بينه وبين كثير من أقاربه ، لا لشىء إلا لأنهم يلبسون الثياب البلدية ، وكان يحاول ألا يرى إلا فى ثياب أنيقة ، فكان دائما كعروس فى ليلة جلوتها ، وقد رأى صاحب المحل هذه الوجاهة ، فحسبه من أسرة كريمة موسرة ،أخنى عليها الدهر ، فعامله معاملة « عزيز قوم ذل »

فأجلسه على مكتب نظيف ، أنظف من مكتبه وأفخم ، وأسند إليه عملية نظيفة ظريفة ، عملية لاتسند غالبا إلا إلى آنسات، عملية تناول النقود من العملاء ، وحساب الصندوق .

وكان عمر يتعالى على زملائه في المحل ، ويعتقد في قرارة نفسه أنه خلق من طينة أفضل من طينتهم ، وأن من الواجب عليهم حتما أن يحترموه وأن يقدموا له فروض الطاعة والولاء ، وكان فى كل مناسبة يحاول أن يفهمهم أنه أفضل منهم ، وأنه مااشتغل مثلهم لحاجته ، فهو غنى ، وأمه غنية ، انحدرت من نسل الأشراف، وورثت عنهم أموالا وأطيانا ، وماعمل فى هذا المحل إلا كرها فى التبطل ، وكان زملاؤه يعلمون أنه لايملك قوت يومه ، وأنه ماقال هذا إلا ليتعالى عليهم فكرهوه ، وكانوا يغمزونه فى كل مناسبة . ولم يقف استعلاؤه عند حد العمال ، بل تجاوزه إلى صاحب المحل ، فكان يحاول أن يفهمه أنه ليس أقل منه شأنا ، وكان يمن عليه عمله عنده ، كأنما تنازله للعمل فى محله شرف عظيم ، لايناله إلا المحظوظون . وكان صاحب العمل يتحمل سخافاته ، ويتجاوز عن هناته ، لأنه أمين حقا ، لايسرق جنيها ، أو ألفا ، إذا اعتقد أن هناك احتمال انكشاف أمره ، ولكنه ماكان يحجم عن السرقة إن أيقن أنه لن ينكشف أبدا . إنه يحلم بالغنى ، ويتمنى أن يصبح موسرا من أى طريق . وياويل البشر لوأصبح غنيا !

وزادت سخافات عمر على مر الأيام . وأصبح لايطاق ، وصار

يتعالى على عملاء المحل . وأقسم بعضهم ألا يدخل المحل مادام عمر فيه . وفى ذات يوم نشبت معركة كلامية بينه وبين عميل ، وانتصر صاحب المحل للعميل ، فغضب عمر وزمجر ، وترك مكتبه، وخرج ساخطا على صاحب المحل الذى ينتصر لعميله ، وينصره عليه . إنه لايستحق شرف العمل عنده . وحمد صاحب المحل الله على أن أتاح له فرصة التخلص من هذا الكابوس الجاثم عليه ، فلم يشأ أن يضيع الفرصة ، فكتب له رسالة رقيقة ، يعتذر له فيها عن استغنائه عن خدماته . وأرسل له الرسالة وباقى الحساب مع عامل من عمال المحل ، وهو يتنفس الصعداء حمدا .

والتحق عمر بعمل ، وثان ، وثالث ، ولكنه لم يعمر ، لم يطقه أحد شهرا . وكان يعلل هذا بضعة أصحاب الأعمال ، وغيرتهم منه، وبغضهم أن يكون بجوارهم من هو أفضل منهم وأحسن . ولم يشأ أن يرى أن العيب فيه ، وأنه أس البلاء ، وأنه البلوى .

وفى ذات يوم زار أحد أصدقائه فى مكتبه الحكومى . وشاء الصديق أن يريه مبلغ سلطانه وحوله وطوله ، فراح يطرد هذا ، ويزعق بذاك ، وينال من ثالث ، والجمهور هادىء يتحمل السباب ساكتا ، متمثلا بالمثل العامى : « لو كان لك عند الكلب حاجة قل له ياسيدى » . فبهر هذا المنظر عينه ، وسلب لبه ، ووافق هواه . ليت صديقه يترك له مأمورية سب الناس وطردهم والنيل منهم .

فهو يتوق إلى هذا ، لينفس عن صدره شهوة كبتت ، وما هيأت لها الظروف المخرج والمنفذ .

خرج عمر من عند صديقه ، وهو يتمنى على الله أن يصبح موظفا حكوميا ، حيث السلطة الواسعة ، والتحكم في الناس ، والتعالى عليهم ، بلا رقيب أو حسيب ، فليس فى الحكومة صاحب محل ينتصر للعميل ، أو يرعاه ويخشى غضبه ، وليس فى الحكومة إلاحاكمون بيدهم الأمر، وهم على إذلال الناس قادرون .

وراح عمر يسعى للالتحاق بالحكومة ، فطرق الأبواب ، ووقف الساعات الطوال ، يرجو ويتذلل ويتضرع ، ومرت أيام وأسابيع وأشهر، وهو يجد فى أثر الوظيفة ، لايمل ولايكل ، وطرد مرات ، وزجر مرات ، وأهين مرارا ، ولكنه لم يقنط من « الميرى » ، ود لو يتمرغ فى ترابه ، فما عرف اليأس إلى قلبه سبيلا ، إن كل أمنيته أن يصبح موظفا حكوميا ، فلابد من الحصول على الوظيفة ، مهما طال العهد ، ومهما اعترضته عقبات .

وأخيرا جاء الفرج .وعين عمر بعد وساطات فى الدرجة التاسعة، بوزارة التموين ، بمرتب قدره ثلاثة جنيهات ، فكاد يطير من شدة الفرح . لقد تحقق حلمه الذهبى ، وأصبح موظفا حكوميا . وفكر أول مافكر بعد استلام مهام وظيفته ، أن يمر على جميع المحال التى عمل بها ، وأن يخبرهم أنه أصبح موظفا كبيرا فى الحكومة ، ليموتوا بغيظهم . ونفذ ما جال بخاطره ، وزار المحل الأول ، وجلس

يتحدث عن الموظفين . وكان لايفتأ يكرر : « نحن الموظفين نفعل كذا وكذا . ونحن ـ الموظفين ـ نقوم بكيت وكيت . ونحن الموظفين ... ونحن الموظفين ... » وتعمد أن يتصل بعمال المحل ، ليعيرهم بأنهم يعملون لحساب إنسان ، بينا هو لايعمل لحساب أحد ، وأنهم عرضة للطرد فى أية لحظة إذا ماغضب هذا الإنسان عليهم . أما هوفإنه ورئيسه سواء ، كل منهما مكلف عملا ، وكل منهما يتناول مرتبه من الحكومة ، لافرق بينهما أبدا !

وصافح صاحب المحل وهو ينصرف ، وقال له بصوت عال ، حاول أن يصل إلى آذان جميع من فى المحل :

ـ إن احتجت إلى أية خدمة فى وزارة التموين ، فمر على مكتبى أيسرها لك .

وانصرف وهو يمشى على الأرض مرحا ، منتفخا ، كقائد عاد من معركته منتصرا .

وقابل أصدقاءه فى القهوة ، وكان مرتديا حلة جديدة ، فصاح أحدهم :

ـ مبارك ! ما هذا العز ؟ حلة جديدة فى هذه الأزمة الخانقة !

وصاح آخر :

ـ قد ظهرت عليه أموال التموين .

وقال ثالث :

ـ ترى كم صفقة أتممت ؟

وضج الرفاق بالضحك ، واستمروا فى هذرهم الثقيل . فلم يحاول أن يمنعهم من الاستمرار فى هذا العبث ، بل كان يشعربنشوة فى نفسه ؟ إن حديثهم عن الصفقات التى تتم بمعرفته يرضيه ويجعله يتوهم ــ ولو لفترة وجيزة ، أنه إنسان له قدرة ، يقوم بصفقات ، وتتم على يديه عمليات . وعلى الرغم من أنه يعلم أن كل هذا هذر ولغو ووهم ، إلا أنه وهم لذيذ . فكم من حديث يعلم المرء كذبه، ولكنه يتمنى أن يطول .

وظهرت حركة إنصاف الموظفين . فراح عمر يتتبع الحركة باهتمام : ويشترى جرائد الصباح والمساء ، وماينفك يذكر ما سيناله من خير عميم . وراح يسأل من يقابله من الموظفين وغيرالموظفين ، عما تم فى أمر تقدير المؤهلات ، فكان من لا يعرفه يحسبه من خريجى الجامعات المغبونين . وظهر تقدير المؤهلات ، وقدرت شهادته بخمسة جنيهات ، فراح يرقص طربا ، وماكان يرى فى الوزارة وفى البيت ، وفى القهوة ، وفى بيوت معارفه ، بل فى الطريق إلا وفى يده ورقة وقلم يحسب فيها ماسيناله من إنصاف ، وماسيناله من فرق بين مرتبه الحالى ومرتبه الجديد .

الغلاء شديد ، ومرتب عمر ضئيل لايكاد يمسك رمقه ، ومرت مدة لم يشتر فيها حلة جديدة . فكيف يحافظ على أناقته التى اشتهر بها بين زملائه ؟ ومايقول حساده ــ وما أكثرهم فى زعم

ـ لو رأوه فى ثياب عتيقة ؟ للموت أحب إليه من هذا !

وأحس حزنا شديدا . ولما قابل أصدقاءه راحوا يعبثون به كعادتهم ، ويتحدثون عن صفقات التموين التى يقوم بها وضحكون ، ولكنه لم يشاركهم فى ضحكهم ، فقريبا يعلمون أنه عجز عن شراء حلة جديدة ، وعما قريب ينفضون من حوله ، فقد حسبهم مثله فى التفكير ، وأنهم ماصاحبوه إلا لأناقته ، فانسل من مكانه ، وانصرف وهو يحس ضيقا .

وفى صبيحة اليوم الثانى ، راح يمر على المكاتب يجمع الملفات لاعادتها إلى قسم المحفوظات ، فعثر على مسودة كتب بها أسماء التجار الذين سيوزع الشاى عليهم ، لتوزيعه على تجار التجزئة ، وذكرت الكمية التى سيعطاها كل تاجر أمام اسمه . فقرأ الأسماء ثم تمتم : « هؤلاء هم المحظوظون ، يوزعون بعض الكمية، ويبيعون بعضها الآخر فى السوق السوداء، ويقبضون جنيها زيادة فى كل أقة ، فيحصلون على آلاف من الجنيهات لا يستحقونها ، ونحن لانكاد نحصل على مايسد الرمق » .وهم بإعادة الورقة إلى مكانها، ولكن التمعت فى مخيلته فكرة . إنه يستطيع أن يقاسم هؤلاء التجار أرباحهم . إنه يستطيع أن يصبح غنيا فى غمضة عين . ها هى ذى الفرصة قد سنحت ليصبح غنيا ، فليهتبلها ، فلن يفطن أحد إلى شىء ، ولن ينكشف أمره أبدا .

ودس عمر الورقة فى جيبه ، وخرج من المكتب ، واتجه إلى

قسمه وتظاهر بالمرض ، ثم طلب إجازة ، وقدمها إلى رئيسه ، فوافق عليها .

خرج عمر إلى محل سجاير يعرفه . وطلب من صاحبه دفتر التليفون . وأخرج الورقة من جيبه ، وجعل يبحث عن أرقام تليفونات التجار ، وكان كلما عثر على رقم كتبه أمام أسم صاحبه. ولما أتم كتابة جميع الأرقام اتجه إلى تليفون عمومى ، وأدار الرقم الأول :

ـ ألو ...ألو ...

ـ ... ...

ـ أنا مندوب وزارة التموين ، كلفتنى الوزارة بحث دفاتركم، لتقدير كمية الشاى التى ستعطونها ، أرجو تجهيز الدفاتر ، سأحضر حالا .

وتكررت هذه المكالمة خمس عشرة مرة ، واتجه عمر إلى التاجر الأول ، فأكرمه ، وقدم له كل الدفاتر التى طلبها ، وتظاهر عمر بفحصها، ثم التفت إلى التاجر ، وقال إنه سيوصى بمنحه كمية قدرها كذا ، وكانت كذا هذه أقل من الكمية المدونة للتاجر فى الكشف الذى عثر عليه ، فقال التاجر إن هذه الكمية لاتسد حاجة المحل ، وإنه تعود أن يستورد كميات كبيرة من الخارج قبل الحرب وأن عملاءه كثيرون ، فتظاهر عمر بالتفكير ، ثم أخرج ورقة وقلما، وراح يضرب أرقاما فى أرقام ، ورفع رأسه وقال :

ـ سأزيد لك الكمية إلى كذا .

ونطق بالرقم المدون فى الكشف أمام اسم التاجر ، فبان البشر فى وجه التاجر ، ومال عمر عليه ، وقال :

ـ لى عندك رجاء بسيط . إن شئت نفذته ، وإن شئت ...

ـ مر .. أنا فى خدمتك .

ـ لى صديق عزيز على ، يشتغل فى تجارة الشاى ، وقد حرمته نصيبه عمدا حتى لايقال إنى أحابى أصدقائى . وكل ما أرجوه أن تعطيه مائة أقة من الشاى بالسعر الذى ستأخذ به من الحكومة ، هذا مجرد عرض ... رجاء ... فإن وافقت ...

ـ هذا طلب بسيط ، فلن أخسر شيئا .

ـ متشكر جدا .

تمت المقابلة الأولى بنجاح ، ولما كان النجاح يولد النجاح ، فقد تمت المقابلات الأربع عشرة الأخرى بنجاح ، وضمن عمر حصوله على ١٥٠٠ أقة شاى بالسعر الرسمى ، إنه يستطيع أن يبيعها فى السوق السوداء ، ويقبض الفرق ١٥٠٠ جنيه ، ولم يضيع الوقت ، فراح يمر على من يعرف من التجار ويعرض عليهم شايا ، وارتبط بالكمية جميعها ، وانتظر إعلان الكشف بصبر نافذ .

وأعلن كشف تجار الشاى ، واستلموا كمياتهم ، ونفذوا جميعهم تعهداتهم لعمر ، إنهم ينتظرون منه خدمات أخرى ، إنه سيذكرهم دواما ولا شك ، كلما عهد إليه توزيع بضائع وسلع

جديدة !!؟

وقبض عمر ألفا وخمسمائة جنيه ، وأصبح غنيا . وما استطاع أن ينام أو يغمض له عين ، وكان يقوم بين لحظة وأخرى يتحسس النقود الموضوعة فى جيب حلته الداخلى ، ولم يطمئن إلى مكانها ، فأحضرها ووضعها تحت رأسه ، وراح يفكر ويفكر ، وبلغ منه الجهد مبلغا كبيرا ، فراح يهذى ، أنا غنى ...أصبحت غنيا من أثرياء الحرب... أناغنى من أثرياء الحرب ... أنا موظف غنى ...من أثرياء الحرب... أنا موظف من أثرياء الحرب .. أنا موظف حرب...

المرؤوسون على دين رئيسهم



فى المصلحة حركة ونشاط غير مألوفين ، فهذا فراش يحمل سطلا يرش منه الماء فى الطرقات الموصلة بين بعض الأقسام وبعض. وهذا آخر يفرشها بالرمل الأصفر ، وهذا ثالث ينفض الغبار المتراكم فوق الشبابيك من سنين ، وهذا رابع يزيل العنكبوت المعشش فى سقوف وأركان الحجرات . وهذا موظف يصرخ فيهم ويصيح أن أسرعوا ، فقد أزف الوقت . ولم يبق إلا نصف ساعة على تشريف المدير الجديد . وأخذ الموظفون فى تنسيق مكاتبهم وترتيب الأوراق فوقها . وراح رؤساء الأقسام يغدون ويروحون فى ملابسهم النظيفة، وكان كل منهم ، يدعو الله فى سره أن يجعله من السعداء المحظوظين المقربين . وكان يبدو القلق على وجوههم ، فقد تعودوا تغيير الأوضاع كلما أقبل مدير جديد ، فكانوا يخشون أن يكون ارتفاع الآخرين على حسابهم . أو أن يقبل ومعه بعض من كانوا يعملون معه فى مصلحته السابقة ، ويسلمهم الأقسام ويمنحهم الدرجات ، وهنا الطامة الكبرى ، والبلاء الذى ليس له دفع، فمن ذا الذى يجرؤ منهم أن يتذمر ، أويقول للمدير أخطأت وظلمت. وتمت عمليات التنظيف ، وغسل كل شيء ولو كان الماء يغسل لغسلوه ،

فبدت المصلحة فى ثوب قشيب مابدت فيه إلا مرات معدودات ، فى مناسبات خطيرة ، كاستقبال وزير ، أو الاحتفال بمقدم مدير جديد . وإن من يرى المصلحة اليوم ممن تعود أن يراها فى أيامها العادية لينكرها ، وليعجب لهذا التبدل الكامل الذى طرأ عليها . فالطرقات المقفرة دائما ، أصبحت أرضا مفروشة برمل أصفر يسر الناظرين . وزجاج الشبابيك الذى يحجب الضوء ، والذى كانت الرؤية متعذرة من خلاله ، أصبح كمرآة مصقولة ، والحيطان المعفرة بدت كشاش أبيض نظيف ولاعجب فى ذلك ، فقد توقف العمل أسبوعا ليتم للمصلحة هذا الرونق وهذا البهاء ، ولكن مما يؤسف عليه أنه لن يستمر لها هذا البهاء طويلا ، فستعود سيرتها الأولى ، ويرجع العنكبوت من إجازته (المحلية) القصيرة ، ليحتل أركان الحجرات والسقوف ، ويتسلق التراب الحيطان والشبابيك ، دون أن يجد من يزجره أو ينهاه . ولم الزجر والنهى وقد تم مرور المدير الجديد ، وانتهى الغرض من التلميع والتنظيف؟

وأقبلت عربة المدير ، فوجفت القلوب ، وأخذ كبار الموظفين يصلحون من هندامهم ، ووقفت العربة ، وأسرع السائق ليفتح الباب، ولكن الموظفين كانوا أسرع منه ، ففتح الباب أكثر من يد ، ونزل المدير بقامته القصيرة ، وجسمه الممتلىء ، وراح يصافح الموظفين الذين خفوا لاستقباله ، وابتسامات الاستقبال والترحاب العريضة تحتل وجوههم ، وتقدم عثمان من المدير ، وراح يقوم بمهمة

الترحيب وتقديم الرؤساء ، وهو رئيس قسم ، ولكنه ليس بأقدمهم ، وعثمان هذا ، أملس كثعبان ، مراوغ كثعلب ، ذو نظرة صائبة ، يبحث عن نقط الضعف فى رؤسائه لينفذ منها ، وقد تمكن عثمان من أن يفرض نفسه بدهائه على جميع المديرين الذين تعاقبوا على المصلحة . وإن لعثمان ابتسامة حار فى تعليلها الموظفون ، فهم لا يعرفون لها معنى ، أو مدلولا . فما هى ابتسامة وداعة ، ولاهى ابتسامة ترحاب ، ولاهى ابتسامة غضب أوحذر ، بل هى ابتسامة ، تحتل فاه فى كل الظروف ، عندما يلقى أمرا ، وهى هى عندما يزف إلى أحد خبر ترقيته ، وهى نفسها عندما يفضى إلى أحد خبر مجازاته وخصم أيام من مرتبه .

وتم التعارف بين المدير الجديد وكبار والموظفين ، وسار وساروا حوله ، فكان كبدر تحف به النجوم ، وابتدأت الجولة التفتيشية ، وراح عثمان يرقب المدير ، ويعد عليه حركاته وسكناته ، فألفاه يصافح كل من يصادفه ، ويحادث كل من يقابله ، ويبتسم لكل من يحادثه ، وكان عثمان يسير بالقرب منه ، .ويبتسم لكل مايقول، ويوافق على كل ما ينطق به، و فى أحد المكاتب أبدى المدير نقدا على وضع المروحة الكهربية . فأسرع الجميع لإصلاح وضعها ... وتم المرور التاريخى . وعاد الرؤساء إلى أقسامهم ، ماعدا عثمان ، فإنه اتجه إلى سائق المدير ، وأخذ يجاذبه أطراف الحديث بلباقة وحذق ، حتى علم منه كل مايريد أن يعلم ، دون أن

يثير شكوكه . علم عثمان أن المدير الجديد رجل صالح ، لايفوته فرض ، يحب المصلين ، ويقربهم منه ، ويعتمد عليهم فى كل أمر . وأنه يصلى الجمعة دائما فى الحسين . وأنه يحتل الركن الأيمن بجوار باب الميدان ، وأنه يصلى العشاء هناك كل ثلاثاء ، فعزم فى نفسه على أمر .

وفى صبيحة اليوم التالى أقبل عثمان وفى يده مسبحة ، وراح يحرك حباتها بين أصابعه ، وهو يتمتم ويحرك شفتيه حركة سريعة . وانتظر حتى وافت الساعة الثانية عشرة ، فاختلق عملا ، وراح يعرضه على المدير ، ثم أخذ ينظر فى ساعته بين الفينة والفينة ، ولاحظ المدير تكرار هذه العملية ، فسأله :

ـ ماذا ياعثمان أفندى ، أعندك موعد ؟

ـ لا ياسعادة الباشا ، حان وقت الصلاة ، وأنا متوضىء .

ـ اذهب وصل ، ودع هذه الأوراق لى ، فتح الله عليك !

ـ لايزال هناك متسع من الوقت ياسعادة الباشا .

ـ اذهب ... وعد بعد الصلاة . بارك الله فيك !

وخرج عثمان أفندى ليصلى ، وماصلى قبل اليوم أبدا . وقد شيعه المدير بنظرة إعجاب واطمئنان .

وفى ليلة الثلاثاء ، اتجه عثمان إلى مسجد الحسين ، وراح يبحث عن المدير ، حتى وقعت عيناه عليه ، فانطلق نحوه ، وتظاهر بأنه لم يره ، وجلس بالقرب منه وقضيت الصلاة ، فنهض

المدير ليقرأ الفاتحة فى المقصورة ، ونهض عثمان وسار خلفه، وأغذ فى السير ، حتى لحق به وتجاوزه ، ووقف على عتبة المقصورة، وتظاهر بالقراءة ، ولما أحس أن المديرقد اقترب منه ، أدار ظهره متظاهرا بالعودة ، فألفى نفسه أمام المدير وجها لوجه ، فتظاهر بالدهش ، وأسرع إليه يصافحه ، ومال على يده ليلثمها ، ولكن المدير سحبها وهو يردد :

ـ أستغفر الله ، أستغفرالله ، أتصلى هنا ياعثمان أفندى ؟

ـ كل يوم ياسعادة الباشا .

ـ ما شاء الله ... ماشاء الله ، فتح الله عليك أيها الشاب الصالح .

وتقابل وسعادة الباشا فى مسجد الحسين فى صلاة الجمعة ، وقضيت الصلاة ، وجلسا يتحدثان حتى يخف الزحام وراح عثمان يقص على سعاد المدير ما كان قداستذكره طوال الأسبوع عن الحسين ابن على ، سيد الشهداء ، وسعادته يستمع إليه متلذذا معجبا بعلمه الغزير . وخفت الرجل ، ونهض سعادته ، ونهض عثمان ، وسار بجواره حتى خرج من المسجد ، وعرض الباشا على عثمان الركوب معه فى سيارته ، فشكره ثم ركب ، وانطلقت العربة بهما ، وقد ألف حب الحسين بينهما .

وتوطدت العلاتق بين عثمان وسعادة الباشا . وأصبح عثمان لسعادته ألزم له من ظله ، فما كان يحل حلا ، أو يعقد أمرا ،

إلابمشورته ، وذاع فى المصلحة وشاع ، أن المدير الجديد من محاسيب الحسين ، وأنه يصلي الجمعة هناك دائما ، فتوافد الموظفون على الحسين فى يوم الجمعة ، ودخله موظفون مادخلوه قبل اليوم أبدا ، وتعمدوا الجلوس فى المكان الذى كان سعادته يجلس فيه ، وصلى أناس ماصلوا قبل يومهم ، ولما قضيت الصلاة أخذوا يصافحونه ، معلنين عن وجودهم فى المسجد ، وكان كل منهم يرجو أن يلفت نظر المدير إليه ، حتى إذا وقع فى مخالفة أوخطأ ، كان حبه للحسين شفيعا له .

وشاء عثمان أن يعين أحد أقاربه ، فأخذه ودخل على المدير ، وقال له :

ـ عندنا ياسعادة الباشا درجة خالية ، وقد وفقنى الله إلى الإهتداء إلى هذا الشاب الصالح ، فهو لايترك فرضا ، يصوم الاثنين والخميس من كل أسبوع . يعول أسرة كبيرة ، وأما لا عمل لها إلا العبادة ؛ وهو يطمع فى عطف سعادتكم .

ـ افعل ماتراه ، وسر على بركة الله .

ولم يكتف عثمان بمابلغ ، بل أراد أن يزداد حب الباشا له ، فدخل يوما عليه ، وقال له :

ـ إننا نقوم الآن بعمل ميزانية السنة الجديدة ، والمنشآت الحديثة ، وقد رأيت أن أعرض على سعادتكم اقتراحا آمل أن يحوز رضاكم .

ـ وما هو ياعثمان ؟

ـ أرى ياسعادة الباشا أن تقترح إنشاء مسجد ضمن المنشآت الجديدة المقترحة للمصلحة ، فإن لوجود المسجد فوائد جليلة لاتخفى على سعادتكم ، فهو يشجع الموظفين على الصلاة ، والصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ، فيراعى كل منهم ربه فى عمله ، كما أن سماعهم للأذان يذكرهم بالله ، وفى ذكر الله رادع لهم وزاجر ، فيحسن عملهم ، ويقل اهمالهم .

ـ اقتراح طيب أيها الشاب الطيب ، فتح الله عليك !

ووفق على المنشآت الجديدة ، وعلى بناء الجامع ، ففرح المدير، وراح عثمان يستحث العمال على العمل ، ويرغبهم فيه ، ويذكرهم بماعند الله من ثواب ، وارتفع البناء ، وفى يوم وقف عثمان والمدير أمام المسجد الذى أوشك أن يتم ، وراح عثمان يرتل الآيات التى ستكتب فى المحراب ، وعلى الجدران ، والمدير يستمع إليه ، يكاد يطير من شدة الفرح .

* * *

وفى يوم من الأيام أقبل المدير عابسا ، وقال لعثمان :

ـ سأنقل إلى مصلحة أخرى ياعثمان .

فقال عثمان فى ذعر :

ـ ستنقل ، وكيف ؟ سيكون فراقك ياسعادة الباشا أليما .

وأطرق عثمان حزينا ، وأحس رهبة، لقد كان يخشى أن ينهار مركزه ، وألا ينال الحظوة عند المدير الجديد . ورفع رأسه وقال :

ـ ومن سيخلفك ياسعادة الباشا ؟

ـ حلمى باشا .

وأطرق عثمان ثانية ، وراح يفكر فيمن يستفسر منه عن حلمى باشا المدير الجديد ، وقطع حبل تفكيره قول المدير له

ـ لاتحزن ياعثمان .

ـ كيف لا أحزن ياسعادة الباشا ، وقد كنت لى الأب البار ، لن أنسى أيامك السعيدة ماحييت .

وراح عثمان يسأل عن المدير الجديد ، ويبحث عن هواه .وأخيرا علم أنه رجل مجتمعات من الطراز الأول ، يحب الحفلات ، ويحبذ اختلاط الجنسين ، فجمع عثمان زملاءه ، وقال لهم :

ـ سينقل المدير الحالى ، وسيخلفه مدير آخر ليس من الطراز العتيق ، فلابد من إقامة حفلة باهرة لاستقباله .

فسأل أحدهم متهكما :

ـ حفلة ذكر .

ـ حفلة كوكتيل . وستساهمون جميعا فى تكاليفها . هل من معارض ؟

فارتفعت أصوات الجميع :

ـ موافقون .

ونقل المدير الطيب ، واختفت مسبحة عثمان ، ومافكر موظف من موظفى المصلحة فى زيارة الحسين ، فقد انقطعت الأسباب التى كانت بينهم وبينه ، وانتفى الحافز لهم على زيارته ، فلن يقابلوا المدير الجديد هناك .

وأقبل المدير الجديد ، وقابله الموظفون بمظاهر الحفاوة التى قابلوا بها سلفه ، وانتهت الإجراءات المألوفة ، ودخل عثمان عليه ، والتمس منه أن يتنازل بتشريف الحفلة التى أقاموها ابتهاجا بمقدمه السعيد ، إن شاء الله .

وفى الليل أضيئت الثريات ، وأقبل الرجال والنساء زرافات ، وابتدأت حفلة الكوكتيل الراقصة الصاخبة ، وراح عثمان ــ الشاب الصالح ــ يرقص ويشرب ويمرح، وأحس تعبا ، فخرج من الغرفة بستنشق هواء الليل العليل ، فوقع نظره على المسجد الذى لم يتم فأشاح بوجهه عنه ، ودخل ثم اتجه إلى (البار) ، وتناول كأسا ، وأفرغها فى جوفه ، ولمح المدير الجديد فى ناحية يحادث سيدة جميلة ، فاتجه نحوه ، وقد عقد العزم على أن يلقى شباكه ، وأن يفرض نفسه عليه فرضا .

السيد علي



كان التاجر يشترى السمن من الأرياف ، فكان يلاحظ قذارة الصفائح التى يعبأ فيها ؛ وكثيرا ما حاول تنظيفها بلا جدوى ، فهذه قد أحرقت من وضعها على النار ، وهذه علاها الصدأ والأقذار، واشتكى عملاؤه من سوء السمن ، وكثرة وجود الملح به ، ففكر فى تشييد معمل لتسييح الزبد يشرف عليه ، فيضمن نقاء السمن ، ونظافة الصفائح ؛ فيرضى عملاءه ، ويوسع تجارته . وكانت الفكرة تطوف به من وقت لآخر ، وكان يفكر فى تنفيذها كلما اشتكى عميل من السمن ، وما أكثر مايشتكون ، وفى يوم كثرت الشكوى ، فعقد العزم على إخراج فكرة المعمل إلى حيز الوجود ، فأرسل فى طلب مهندس صديق ، وطلب منه أن يضع تصميما لمعمل حسن . ولما تم الرسم ابتدأ التنفيذ فورا ؛ فجاء البناءون ، وراحوا يعملون حتى تم البناء . وشاء التاجر أن يجعل من معمله نموذجا يحتذى ، فغطى حيطانه بالقاشانى ؛ وابتنى حوضا كبيرا غطاه بالقاشانى أيضا ، وجهزه بصنبور كبير ، تتدفق منه المياه بقوة لتنظيف الصفائح قبل تعبئة السمن .

تم المعمل ، ونظف ، وجليت حيطانه ، فبدت كمرايا مصقولة تعكس الأضواء الساقطة عليها ، وأصبح المعمل نظيفا لايقل فى

نظافته عن حجرة عمليات فى مستشفى راق ، ولما اطمأن التاجر إلى كل شىء ، أرسل إلى وزارة الصحة يطلب ايفاد مندوب لمعاينه المعمل ، والترخيص بإدارته ؛ وبات التاجر يمنى النفس بقرب افتتاح المعمل ، وينتظر تشريف المندوب بقلب مطمئن ، فأين المعامل القذرة التى رآها فى الأرياف والمبنية باللبن ؛ التى تستعمل فيها أقراص (الجلة) وقطع الخشب الكسر القذرة وقودا لتسييح الزبد ، من معمله النظيف المجهز بخزان كبير للبترول ، يتصل بجهاز حيث لا يختلف عن أجهزة الطبخ فى المنازل إلا فى كبر حجمه ؟ أين الصفائح القذرة التى يعبأ فيها السمن هناك من الصفائح الجديدة النظيفة ، التى جلبها لمعمله ؟ إن كل شىء يدعو إلى الاطمئنان ، بل إن كل شىء فى المعمل ليدعو إلى الشكر والاغتباط . وما من شك فى أن مندوب الصحة سيشكره على نظافته ، وعلى ما أسدى إلى الصحة من خدمة جليلة . ومرت أيام وأسابيع ولم يشرف المندوب ، وأخذ التاجر ينتظر تشريفه بصبر نافد . وفى يوم من الأيام وقف (موتوسكل) حكومى ذو عربة جانبية صغيرة ، أمام محل التاجر ، ونزل السائق ، وفتح باب العربة الصغيرة ، ونزل موظف نظيف الثياب ، على عينيه نظارة سوداء ، وكان ربعة ، لا هو طويل ولا قصير ، أبيض اللون ، أصفر الشعر ، مرفوع الرأس، ولما لمحه التاجر عرف فيه مندوب الصحة ، فأسرع إليه وحياه، وقاده إلى مكتبه ، وأجلسه على الكرسى الوحيد الوثير بالمكتب ،

وجلس هو على دكة من الخشب ، وأشار إلى أحد عماله برأسه إشارة خفيفة ، فخرج العامل لإحضار القهوة ، ومرت مدة ولم ينطق فيها التاجر حرفا ، فلم يكن ممن تعود مقابلة الحكام ، وأصحاب الأمر والنهى والربط والعقد والسلطان ، وزوى المندوب ما بين حاجبيه ، وارتسم فى وجهه عبوس زاده وقارا على وقار ؛ ونظر أمامه ، وثبت نظره فى الحائط المواجه له ، ولم يتنازل بكلمة أو نظرة عطف ، تعيد إلى التاجر الطيب روعه ، وأقبل العامل يحمل صينيه عليها بلبلة وفلجانتان وكوب ماء ووضعها على المكتب أمام المندوب ، وصب القهوة وانصرف ، فمد التاجر يده ، وتناول فلجانة ، وقدمها إلى المندوب وهو يتمتم :

ـ تفضل .

فالتفت المندوب إلى التاجر وهز رأسه ولم ينبس بكلمة ، فقال التاجر :

ـ تفضل ... تفضل .

فقال المندوب :

ـ آسف لا أتناول شيئا عند أحد فى أثناد تأديه وظيفتى . أين المعمل ؟

وما كاد يتم كلامه حتى نهض ، ففتح التاجر درجا ، وأخرج مفتاحا ، وترك القهوة ونهض ، وفسح الطريق للمندوب ، وقال :

ـ تفضل .

وأشار التاجر إلى أحد عماله ، فجاء على عجل ، فدفع إليه بالمفتاح وهو يقول :

ـ افتح المعمل حالا .

فخرج المندوب والتاجر خلفه ، وانطلقا صامتين ، ولما بلغا المعمل دلفا إلى الداخل ، وأخذ المندوب يفتش ، وأحس التاجر رهبة ، وانتظر التاجر تحرك شفتى المندوب بقلق ، إنه لا يدرى لم طال صمته ؟ ... إنه لايدرى لم لا يطمئن إليه ؟ ... ليته يقول شيئا يقطع هذا السكون القاتل .

ووضع التاجر يده على كتف المندوب دون أن يدرى ، فقد كان من عادته أن يضع يده فوق كتف كل من يحادثه ، أو يقف بجواره، فالتفت إليه المندوب ، وصوب إليه نظرة غاضبة ، وصاح :

ـ ارفع يدك ، لماذا تضع يدك على كتفى ؟ أأصدقاء نحن ؟ .

رفع التاجر يده وقد أحس ضيقا وامتعاضا ، ماذا فى وضع يده على كتفه ؟ أهو كلب يخشى نجاسته ؟ وهم أن يرد عليه ، ولكنه كظم غيظه . وصبر على مضض ، وراح المندوب يتأمل المعمل ، ويذرعه جيئة وذهوبا . وأخيرا التفت إلى التاجر وقال باستخفاف :

ـ لم لم تطلب منا المواصفات قبل أن تشرع فى البناء ؟ إن لتشييد معامل الزبد أصولا وقواعد وشروطا صحية ينبغى توافرها . إنى لا أستطيع أن أوافق على إدارة هذا المعمل أبدا ... أبدا . إنه غير مستوف للشروط االصحية .

فتطلع التاجر إليه وقد فغر فاه من الدهش . وأحس حزنا . وما دار بخلده قط أن هذه هى الطريقة التى يتبعها المندوب وأمثاله ، للحصول على بعض جنيهات قبل التصريح :منع ووضع عراقيل ، فإذا أطل « السيد على » برأسه ، فتيسير وتسهيل . هذه هى الطريق ، ولكن من أين له أن يعلم هذا وهو لم يدفع فى حياته رشوة لأحد أبدا ، ولم يسبق له معاملة أمثال المندوب ، الذى لا يدل مظهره على مخبره ، إنه تعود أن يرى أناسا مكشوفين . وسأل التاجر المندوب فى لهجة حزينة :

ـ ولم لم توافق على هذا المعمل النظيف ؟

ـ ينقصه غرفة بخار .

ـ غرفة بخار ؟

ـ أجل غرفة بخار ... ألم تر كيف تغسل الآنيه فى محال (المشطور) بالبخار ؟ لابد من غرفة البخار حتى تغسل الصفائح بالبخار قبل تعبئتها .

ـ وهل السمن الآتى من الريف معبأ فى صفائح مغسولة بالبخار ؟

ـ هذا ليس من شأنى . لن أصرح بادارة هذا المعمل إلا اذا جهز بغرفة بخار .

فأطرق التاجر ، وبان عليه الحزن ، ورمقه المندوب من طرف عينه ، فأيقن أنه أضحى على استعداد للبذل عن طيب خاطر ،

وكان للمندوب نظرة ثاقبة ، فقد علم أن التاجر لن يكون البادىء بالعرض أبدا ، فهو أجبن من أن يعرض عليه شيئا ، فعزم على تسهيل الأمر عليه ، فاقترب منه وقال :

ـ وهل السمن الذى تعبئونه جيد ؟

ـ جيد جدا يا سعادة البك .

ـ حقا ؟

ـ إننا نشترى من تاجر واحد ، ونسيحه ، ثم نرسل عينة منه إلى معمل التحاليل لمعرفة درجة الحموضة ، ونسبة المواد الغريبة به، وقوة الدسم ، فإن كانت النتيجة مرضية عبأناه ، وإن لم تكن مرضية أعدنا السمن إلى تاجر الزبدة .

ـ وكم ثمن الصفيحة اليوم ؟

ـ ستة جنيهات ونصف .

ـ أيمكن أن أعتمد عليك فى إعداد خمس صفائح لى . أرجو أن يكون السمن ممتازا .

وكان التاجر يود أن يسأله : كيف يقبل أن يأكل سمنا معبأ فى صفيح غير مغسول بالبخار ولكنه قال :

ـ سيكون السمن هدية .

ـ لا أقبل هدايا أبدا ... أبدا . لابد من دفع الثمن و إلا ...

فأطرق التاجر قليلا ، ولم يفطن إلى أن كل هذا تمثيل يقتضيه الموقف ، بل ظن أن المندوب جاد ، فقال :

ـ إكراما لك لن أتقاضى ربحا . الصفيحة تتكلف ستة جنيهات ، فيكون المبلغ ثلاثين جنيها .

ـ لن أشترى إلا بسعر السوق ، ولن أقبل هذا الإكرام وإلا ..

ـ كما تحب .

ومد المندوب يده فى جيبه ، وأخرج جنيها قدمه إلى التاجر وهو يقول :

ـ خذ هذا عربونا .

ثم قدم إليه بطاقة بها اسمه وعنوانه ، وقال :

ـ أرسل السمن إلى هذا العنوان ، وشرف عندى فى المكتب بعد ثلاثة أيام ، لنناقش فى أمر رخصة المعمل .

* * *

مرت الأيام الثلاثة ، واستعد التاجر لزيارة المندوب فى مكتبه، بعد أن أرسل إلى داره العامرة السمن الممتاز ، وطلب من الكاتب أن يحرر قائمة بثلاثين جنيها . ويخصم منها قيمة العربون ، فالتفت الكاتب ، وقال :

ـ هل تطالبه بثمن السمن ؟

ـ أجل .

ـ أجل ؟ إنه انتظر منك أن تدفع له شيئا ، ولما لم تفعل طلب السمن بدل « السيد على » .

ـ لا ياشيخ . إنه شهم ، رفض أن نتنازل له عن فائدتنا .

ـ والله لو طالبته بالمبلغ ، فلن ترى رخصة المعمل أبدا

ـ وما نفعل إذن ؟

ـ قابله ، وخذ الرخصة ، فإن كان فى نيته أن يدفع ، فسيطلب القائمة فترسلها له . والله لن يطلب القائمة ، ولن يذكر السمن الذى وصله على لسانه أمامك أبدا . وإياك أن تذكره ، وإلا أفسدت كل شىء .

ـ الأمر لله !

وبلغ التاجر مكتب المندوب ، فقابله بالترحاب ، وأجلسه بجواره ، وطلب له قازوزة ليمون ، وبالغ فى اكرامه ، وتناول ملفا من أمامه ، وقال له :

ـ هذا هو ملف المعمل . انتظرنى قليلا حتى أنهى لك الموضوع.

وأخذ الملف وصعد وهبط ، وراح وجاء ، وأخيرا قدم له الرخصة وهو يبتسم ، فتناولها التاجر ، وبان السرور فى وجهه ، وصافح المندوب بحرارة وانصرف . وتذكر وهو ينزل فى درج السلم أن المندوب لم يذكر السمن ، ولم يذكر القائمة ، فابتسم ابتسامة خفيفة وغمغم :

ـ حقا : إن « للسيد على » لسحرا .

شجاعة أدبية



فى قسم من أقسام مصلحة ما ، جلس الباشكاتب ، وهو رجل لم يبق على إحالته إلى المعاش إلا بضعة أشهر ، يتحدث مع عزمى أفندى أحد مرءوسيه ، وإن الذى لا يعرف الباشكاتب يحسبه فى الخامسة والأربعين ، فشعره الكستنائى الطويل الخارج من تحت طربوشه ، ووجهه القليل التجاعيد ، وبريق عينيه وأسنانه اللؤلؤية ــ ولا نقول الصناعية ــ كل هذا يوحى أنه لم يتخط الخامسة والأربعين . ولو كانت درجة الموظف تدل على سنه ، لكانت أقل من ذلك بكثير ، فهو فى الدرجة السادسة ، وما بلغها إلا بعد أن انسلخ من عمره فى الحكومة ما يقرب من أربعين سنة . التفت إلى عزمى ، وقال :

ــ إنك يا عزمى أفندى موظف كفء ، لم أر طول المدة التى خدمتها فى الحكومة من هو أكفأ منك . والله لو كنت وزيرا ما قلدتك إلا أرفع منصب فى وزارتى .

وصمت قليلا ثم استطرد :

ــ ولكن لسوء حظك لست بوزير .

فابتسم عزمى ، والتفت الباشكاتب إليه ، ولاحظ علامات

السخرية ظاهرة فى وجهه ، فقال :

ـ أتضحك ؟ لقد خدمت فى الحكومة أربعين سنة . فقال عزمى :

ـ ولم تصبح وزيرا ، وأصبح غيرك وزيرا ، ولم يخدم فى الحكومة قبل أن يتقلد وزارته يوما واحدا .

ـ يا عزمى أفندى ، ما كنت أطمع فى أن أكون وزيرا ، ولكن أما كنت أصلح أن أكون مديرا لإدارة من الإدارات ؟! إن كل زملائى قد بلغوا الدرجة الأولى ، أو الثانية على أقل تقدير .

ـ الحمد لله يا حضرة الباشكاتب على الصحة .

ـ نحمده ونشكر فضله . لكن مدير إدارة ، ما كان هذا بكثير على مثلى ، الدنيا حظوظ .

وأقبل ساع واتجه إلى حضرة الباشكاتب وقال :

ـ كلم الرئيس .

وما كادت كلمة الرئيس تصك أذنيه ، حتى نهض وهرول نحو غرفته ، وطرق بابه برفق ، فارتفع صوت الرئيس هادئا :

ـ تفضل .

ودخل الباشكاتب ، فألفى الرئيس جالسا وحوله بعض معارفه ، فحياه وبالغ فى إظهار الاحترام له ، فابتسم ابتسامة بذل كل جهده لتكون رقيقة حلوة ، وانحنى انحناءة خفيفة لطيفة وهو يلقى السلام ، فرد عليه الرئيس تحيته ، واستأنف حديثه مع الجالسين

حوله :

ـ إنى إذا قلت كلمة تحملت نتائجها ، ولا أحيد عنها أبدا ، مهما كانت النتائج ، الرجل يربط من لسانه ، والله إنى لأعجب لهؤلاء الذين يتحللون من وعودهم ، إنى أحب الرجل الذى إذا قال فعل .

ثم التفت إلى حضرة الباشكاتب ، وقال :

ـ قلت لك مرارا يا حضرة الباشكاتب ، ينبغى أن تتحقق من صحة المكاتبات قبل أن تعرضها على للتوقيع . انظر ...

وناوله ورقة ، فأخذها وراح يتأملها ، ومرت مدة ، ثم قال :

ـ إنها غلطة عزمى أفندى .

ـ عزمى أفندى لا يصلح لعمل. لا تعتمد عليه .

فقال الباشكاتب مؤمنا على قوله :

ـ لقد قلت لسعادتكم إنه لا يصلح لشىء أبدا .

وتململ الرئيس فى كرسيه ، وقال :

ـ الدنيا حر اليوم .

قال الباشكاتب موافقا كما هى العادة :

ـ حر جدا يا سعادة البك .

ـ من الأصوب والأصح أن تفتح هذا الشباك ، وأن تقف هذه المروحة الدائرة التى تجلب لنا الصداع .

ـ هذا أصوب يا سعادة البك ؛ كدت أقترح على سعادتكم هذا

الاقتراح .

وأخذ الباشكاتب يوافق على ما يقول الرئيس ، ولو قال الرئيس « ما أجمل القمر » والشمس ساطعة ، لما كان رد الباشكاتب إلا « جميل جدا يا سعادة البك » .

وخرج الباشكاتب ، وراح الرئيس يقص على زواره قصص شجاعته الأدبية ، وكيف اضطر المدير أن ينزل عند رأيه أكثر من مرة ، وراح يقص كيف شاء المدير أن يرقى موظفا قبل دوره ، وأن يتخطى بعض مرءوسيه ، فما كان منه إلا أن عارض المدير ، وأثبت أحقيه مرءوسيه ، فلم يسع المدير إلا أن يتنازل عن مشيئته، وأن يوافق على ترقية مرءوسيه . وكان يردد بين آونه وأخرى:

ـــ مادام الموظف نظيفا فلا يخشى أحدا ، ولا يهاب رئيسا . ماذا يستطيع المدير أن يفعل لشخص نظيف يعمل لصالح العمل ؟

والرئيس هذا ، قد جاوز العقد الخامس من عمره بقليل ، طويل القامة ، نحيف الجسم ، أصفر اللون ، قد وخط الشيب رأسه ، إذا ابتسم انفرج فمه عن ابتسامة حلوة ، وإذا تحدث تحدث بصوت كله هدوء ، واذا قابل إنسانا لا يعرفه رحب به ، وغالى فى إكرامه ، فينصرف من عنده وقد أخذ برقته ، وخاله أرق أهل الأرض طرا ، وقد خدع هذا المظهر كثيرا من مرءوسيه ، فى أول أمرهم ، وحسبوا أن الله يحبهم ، فاصطفاهم مرءوسين لذلك الرجل الطيب الكريم ،

ولكنهم بعد أن عاشروه ، علموا أن الله ابتلاهم به ، ليكفر عن سيئاتهم فى الدنيا ، فقد عرفوه رجلا لا أمان له ، ولا قيمة لآرائه التى يبديها ، فهو يرفعك إلى السماء السابعة في الصباح ، ويجلسك بجوار النجوم ، ثم يهوى بك قبل انقضاء اليوم إلى أسفل سافلين ، ففى الصباح يسبح بحمدك ، ويشيد بذكرك ، ويمدح أخلاقك، حتى تحسب نفسك من القديسين ، فإذا ما انصرفت وذكرك ذاكر بسوء ، فلا يتورع أن ينضم إليه ، ويأخذ فى ثلبك وذمك ونعتك بصفات لا ينعت بها إبليس الرجيم . وكثيرا ما يقبل من الدار وهو كاشر عن أنياب الغضب ، فلا يسلم من حدة لسانه عدو أو حبيب ، فإذا ما كلمته (الست) فى التليفون ، وصلحت الحال بينهما ، وانقشعت سحابة الغضب ، فإنه يأخذ فى الاعتذار إلى كل من يقابله عما بدر منه فى الصباح . وقد كان من عادة مرءوسيه أن يسأل من لم يقابله بعد من أوقعه سوء حظه فى مقابلته : « أهى راضية عنه اليوم ؟ » فإذا كان الجواب بالإيجاب ، دخلوا عليه ، وعرضوا عليه ما عندهم من أوراق ، وإن كان الجواب بالنفى ، تحاشوا مقابلته وفروا من وجهه.

والرئيس هذا ليس له من صفات الرياسة شيء ، فهو يخشى الرؤساء الذين هم دونه فى الدرجة ، لا يهمه مصلحة مرءوسيه وإن تظاهر لهم بعكس ذلك ، فهو دائما يحدثهم عما فعله وعما يفعله من أجلهم ، وعما يلاقيه من شدة بسببهم ، والحقيقة أنه ما فعل

لهم شيئا ، ولن يفعل لهم خيرا ، بل هو نقمة عليهم ، فقد استهان الزملاء به ، وراحوا يسلبون حقوق مرءوسيه ، وهو صامت لا يحرك ساكنا ، وإن كان فى مكتبه يقيم الدنيا ويقعدها . ينتقد تصرف الزملاء ، ويعيب الظلم ، والمستضعفين الذين ينامون على الضيم ، وما كان يجرؤ أمام زملائه أن يعترض على ما يفعلون ، بل كان يوافقهم على كل ما يريدون ، فإذا ما عاد إلى مكتبه جمع بعض مرءوسيه ، وراح يقص عليه ما دار بينه وبين الزملاء بشأنهم، وكيف راح يسوق الحجج الدامغة ، حتى أقنع الجميع أن مرءوسيه أحق الناس بالترقية ، فينصرفون من عنده مطمئنين ، يحلمون بالترقيات القادمة ، حتى إذا ما أعلنت الترقيات لم يجدوا أسماءهم ضمن المرقين ، فيفيقون من حلمهم الكاذب اللذيذ .

واستمر الرئيس يقص نوادر شجاعته النادرة المثال على معارفه، وأستأذن أحد مرءوسيه فى الدخول ، فأذن له ، ولما مثل بين يديه سأله وهو يبتسم له :

ـ خيرا يا صالح أفندى ؟

ـ خيرا إن شاء الله يا بك ، سبق أن رشحتنى سعادتكم للترقيه فى الدرجة الخالية بالمصلحة ، وقد علمت اليوم أن سعادة المدير قد رشح خيرت أفندى ، وقد أمر سعادته بكتابة خطاب إلى الوزارة بترشيحه .

فاعتدل الرئيس فى كرسيه ، وقال وهو يلتفت إلى من حوله :

ـ سترقى إلى الدرجة الخالية سواء رضى المدير أم لم يرض .

ـ ولكن المدير يا سعادة البك رشح غيرى ، وكتب للوزارة بذلك .

ـ قلت لك لن ينال هذه الدرجة أحد سواك ، ناد الباشكاتب حالا .

فخرج صالح يهرول ، وعاد هو والباشكاتب ، فى مثل لمح البصر ، وراح الباشكاتب يتمتم :

ـ أفندم ... أفندم يا سعادة البك ؟

ـ ملف خدمة صالح أفندى حالا .

ـ حالا يا سعادة البك .

وعاد الباشكاتب بالملف ، فتناوله الرئيس ، فأخذه وراح يقلبه بين يديه ، و قال :

ـ لا بد أن يرقى صالح أفندى .

فقال الباشكاتب مؤمنا :

ـ لابد يا سعادة البك .

واستأذن الموجودون وانصرفوا ، والتفت الرئيس إلى صالح أفندى ، وقال :

ـ اطمئن ، سأقابل الباشا حالا .

ونهض بقامته الطويلة وقد ارتسم الحزم على وجهه ، وتناول الملف ، وحمله تحت إبطه ، وراح يجد نحو مكتب المدير ، وكلما

اقترب من المكتب خفت سرعته ، وتزايدت ضربات قلبه ، وأخيرا بلغ الباب ودقات قلبه تدوى فى أذنيه . إن قلبه يكاد يقفز من فيه، إنه يشعر بضعف وخور ، لخير له أن يعود ، وهم بالعودة ، ولكن الباب فتح ، وألفى نفسه أمام المدير وجها لوجه ، فظهر الارتباك عليه ، وسأله المدير :

ـ ما هناك ؟

ـ لا شيء ، لاشيء ...علمت أن سعادتكم رشحتم خيرت أفندى لترقيته فى الدرجة الخالية ، فجئت أشكر لسعادتكم هذا الاختيار الموفق ، الذى صادف أهله . خيرت أفندى من أحسن الموظفين في المصلحة ، وهو يستحق كل خير .

وعاد الرئيس إلى مكتبه ، وألقى بالملف إلى حضرة الباشكاتب وهو يقول :

ـ قد ثبت قطعا أن صالح أفندى لا يستحق الترقية ، فلا أريد أن يفاتحنى أحد فى هذا الموضوع بعد الآن أبدا.

فقال الباشكاتب مؤمنا :

ـ ألم أقل لسعادتكم مرارا إنه لا يستحقها ؟

بالمناقصة..



كتبت هذه المسرحية وأضيفت إلى طبعة ١٩٦٢

المشهد الأول

مكتب وكيل التوريدات فى مصلحة من المصالح . وكيل التوريدات جالس خلف المكتب، وعلى المكتب ملفات كثيرة وأوراق متناثرة ، ومنشور من الخشب كتب عليه اسمه « يسرى عبد الرحمن » ومنشورا أخر كتب عليه « الصبر » ؛ وجلس عن يمينه على كرسى متواضع « فهمى » بالعلاقات العامة بالمصلحة ، وعن يساره «شعلان » وكيل الحسابات . ينهض فهمى فى ضيق .

فهمى — أنا عارف كان إيه اللى حشرنى فى اللجنة دى ؟ يعنى ما لاقوش إلا احنا اللى يحطوا فى رقابتهم الحفلة !

شعلان — وكانوا ح يلاقوا أحسن مننا فين فى المصلحة كلها عشان يعملوا لهم الحفلة ؟ !

(ينظر شعلان فى تملق إلى يسرى)

الأستاذ يسرى وكيل التوريدات اللى ما تخرش من إيده المية رئيسا للجنة ، وأنا الأستاذ شعلان وكيل

الحسابات الى ما فلتتشى من تحت إيده غلطة واحدة فى العشر سنين اللى فاتت ، وحضرتك الأستاذ فهمى دينامو العلاقات العـامـة أعضاء . ح يلاقوا لجنة أحسن من كده فين ؟

فهمى ماهو لو كنا ح نشترى ورق واللا أقلام واللا مساطر واللا حبر كان ما فيش أحسن من كده ! لكن دول حطوا فى رقابتنا الحفلة السنوية ، حفلة المصلحة الترفيهية ...

(يقاطعه يسرى)

يسرى اطمن ، ما فيش فرق كبير بين الورق والأقلام والمساطر والحبر وبين الغنا والرقص والبهلوانات . أهو كله توريد ... وياما فات علينا ، إحنا شبنا فى الحاجات دى ياسى فهمى .

(ينظر شعلان إلى يسرى فى إعجاب ثم يلتفت إلى فهمى)

شعلان خلاص يا سيدى . حط فى بطنك بطيخة صيفى، الأستاذ يسرى قال لك اطمن .

فهمى والله أنا خايف .

يسرى (شامخا بأنفه ويضرب المكتب بقبضته وهو يتحدث) أنا ح اعمل حفلة ما اتعملتش لسه ، حفلة مش ح

تتنسى أبدا ، ومش ح ابعزق فلوس النقابة زى اللى
كانوا بيبعزقوا قبلنا .. أنا ح اعمل حفلة العمر ...
وبملاليم .

(يدنو فهمى منه)

فهمى ازاى ؟

يسرى اقعد واهدا وانا أقول لك ازاى .

(يجلس فهمى على كرسيه)

فهمى آدينى قعدت .. قول ياسيدى .

يسرى عشان نعمل أى عمل كويس ومايحصلش أى خلل فى التنفيذ ، لازم نعرف بوضوح إيه اللى احنا عاوزينه .

شعلان تمام .. تمام .. لازم يكون واضح فى ذهننا إيه اللى احنا عاوزينه .

فهمى (فى تبرم) هو لسه مش واضح إيه اللى احنا عايزينه ؟؟ عايزين نعمل الحفلة السنوية للنقابة ، ح ييجى فيها أعضاء النقابة وعائلاتهم ومدير المصلحة والوكيل وأكابر الناس اللى ح يعزموهم للحفلة .

يسرى دا مش كفاية .

شعلان دا مش كفاية أبدا .

يسرى لازم نعرف بدقة اللى ح يكون فى الحفلة من أول ما

تبتدى لغاية ما تنتهى لحظة لحظة ، ونتخذ إجراءاتنا لتغطية كل لحظة من اللحظات دى .

شعلان: ياسلام !

فهمى: كلام جميل . نبتدى .

(يعتدل فهمى فى جلسته)

فى الساعة السابعة حفلة شاى لخمسميت مدعو .

شعلان: عال .

يسرى: لأ مش عال .. لازم يكون أدق من كده ، الواجب إنه يقول الساعة سابعة يوم كذا شهر كذا ∴ ماهو أقل خطأ في الحاجات دى يهدم كل ترتيباتنا .

فهمى: الساعة سابعة يوم الخميس ٢٧ أبريل سنة ١٩٦٢

(ينظر يسرى إلى النتيجة المعلقة فى مواجهة مكتبه)

يسرى: النهاردة أول أبريل .. يعنى قدامنا ٢٧ يوم .. مش كفاية لكن إيه ، مابالبد حيلة ، إحنا لازم نشتغل ليل نهار لما نخلص الشغل اللى قدامنا .

فهمى: سبعة وعشرين يوم مش كفاية عشان ترتيب حفلة ! دا الصاروخ الروسى لف الدنيا كلها فى ٩٠ دقيقة .

شعلان: دى حاجة ما تخصناش . .. سبعة وعشرين يوم يادوبك عشان نخلص شغلنا . أنا ما احبش الكلفتة . أنا احب أغطى نفسى كويس فى كل عمل أعمله .

يسرى عايزين نخلص مش عايزين نضيع وقتنا .. هيه وبعد حفلة الشاى ؟

فهمى الساعة تسعة ونص تبدأ الحفلة الترفيهية على مسرح النقابة .

يسرى كلمة « حفلة ترفيهية » دى حاجة غامضة .. عايزين نفحصها .

شعلان آه عايزين نوضحها .. عايزين نعرف إيه اللى جوه الحفلة الترفيهية دى .

يسرى وياسلام لو نحدد وقت كل نمرة .

شعلان إيه الدقة دى ! أنا مش فاهم إزاى ما رقكش مدير توريدات لغاية دلوقت ؟

يسرى إيه ! حظوظ . ومش وقته . خلينا نخلص اللى فى إيدنا للوقت يسرقنا .. قول ياسى فهمى .. الساعة ٩,٥ تنفتح الستار . ح نشوف إيه ؟

فهمى رئيس النقابة يلقى كلمة .

شعلان كفاية عليه عشر دقايق .

يسرى (يكتب فى ورقة) : نخليها ربع ساعة .. الراجل صاحبنا ، وبعدين ؟

فهمى مش ح ينفع كده .. إحنا نعمل البرنامج وبعدين نرتبه ، فى حفلة زى دى يكون فيها منولوجات ورقص

وغنا و أكروبات ومزيكة .

(يتناول شعبان ورقة وقلما)

شعلان ملينى وأنا اكتب .. قول عايزين كام منولوجست وكام مطرب وكام مطربة وكام موسيقى وكام بهلوان .

فهمى فيه مكاتب مخصوصة للحاجات دى .. نتصل بيها ونشوف .

يسرى : لا .. لا .. إحنا ما نتصلش بحد . لازم نعرف إحنا عايزين إيه أولا ، وبعدين نقرر إيه اللى نعمله حسب اللوايح .

فهمى (فى ذعر) اللوايح ؟ !

شعلان طبعا ! أمال احنا هنا ليه ؟

يسرى (لفهمى) ماتقول عايزين كام منولوجست ؟

(ينهض فهمى ويغدو ويروح فى حير ة)

شعلان (لفهمى) : ماتقول عايزين كام منولوجست ؟

فهمى اتنين : راجل وست .

يسرى (يكتب) عال .. وإيه كمان ؟

فهمى ومطرب كبيرأو مطربة كبير ة .. آه لو نقدر نجيب أم كلثوم واللا عبد الوهاب .

(يضع يسرى أصابعه فى أذنيه ويصيح)

يسرى مش عايزك تقول أسماء ، مش عايزك تأثر على

اللجنة ... ياسيد فهمى أرجوك تفهم إحنا ناس محايدين .. إحنا ناس قضاة .

فهمى الله ! إحنا مش ح نشوف نجيب مين م المطربين والا مين م المطربات ؟

يسرى لأ .. انت عليك تقول ح نجيب مطرب أو مطربة وبس

فهمى طب وح نختار المطرب أو المطربة ازاى ؟

شعلان سيب الحاجات دى لنا. بعدين ح تعرف .. قول نجيب مطرب واللا مطربة .

يسرى دى مش مشكلة . نجيب مطرب ومطربة وإيه كمان ؟

فهمى وعشرين عازف .

شعلان ومش كفاية عشرة !

فهمى دا أقل عدد نقدر نجيبه فى حفلة زى دى .

يسرى (يكتب) ١٥ عازف .ولاانت تزعل ولا هو يزعل .

شعلان (ينظر إلى يسرى) : يا سلام على سعة الأفق ياسلام .

(ويلتفت إلى فهمى) هيه ؟ وعايز كام كمنجاتى وكام عواد .. وكام ؟ ..

يسرى نخلى التفصيلات دى لبعدين .. (يلتفت إلى فهمى) وإيه كمان ؟

فهمى ورقاصين معروفين .

يسرى بلاش معروفين دى أرجوك . بلاش تأثير ع اللجنة .

شعلان ورقاصين بس .

فهمى أنا مش فاهم حاجة .قولوا لى انتو ناويين تعملوا إيه.

يسرى اصبر .. (ويشير له إلى المنشور المكتوب عليه ، الصبر) .

فهمى ماقدرش اصبر (يرفع المنشور ويبعده عن المكتب) أنا لازم أعرف انتو ناويين تعملوا إيه .

يسرى عشان حفلة الشاى ح نعمل مناقصة بين الفراشين على تأجير الأطباق والفناجيل والشوك والسكاكين...

فهمى معقول .

شعلان ماهو لوكنت صبرت كنت استريحت .

يسرى وح نعمل مناقصة بين محلات الحلويات علشان توريد الجاتوه والبتيفور والسندويتشات ..

فهمى دا مش معقول .. مش معقول أبدا .. مناقصة عن توريد جاتوه وسندوتشات ! ونعمل إيه إذا لقينا فى عطا إن الجاتوه رخيص والبتيفور غالى ، وفى عطا تانى إن الجاتوه غالى والبتيفور رخيص ..

يسرى ياسيد فهمى من حقنا إننا نقسم التوريد .. نرسى العطا ع الأرخص دايما .

فهمى يعنى ناخد الجاتوه من محل والساندويتش من محل

	تاني ؟
يسرى	وإيه المانع !
شعلان	أناعايز اقول إنى مش ح اصرف قيمة الحاجات دى إلا إذا دخلت فى العهدة ، وجاتنى مستندات الإضافة .
فهمى	يعنى عايز مخزنجى يضيف الجاتوه والشاى والسندوتشات فى العهدة ؟
شعلان	ماهو ده الإجراء القانونى .. (يمد يده ليأخذ كتابا) آدى لايحة المخازن ..
فهمى	أنا عارف إن اللايحة بتقول كده .. لكن اللايحة دى معمولة علشان نسترشد بيها ما قالتلبناش الغوا عقولكم .
يسرى	شعلان عنده حق . لااجتهاد مع وجود النص .. والنص صريح . لاتصرف قيمة بضايع إلا إذا أضيفت فى العهدة .
	(يهب فهمى مفزوعا)
فهمى	طب والمخزنجى اللى ح يضيفها فى العهدة ح يصرفها ازاى ؟ ح نحط مستند صرف تحت كل جاتوهاية وسندوتشاية ،ونشبك مستند صرف فى فنجال الشاى!
يسرى	مستندات الصرف دى أمرها بسيط . يبقى مدير المخازن يصرف ..

فهمى اشمعنى عايزين مدير المخازن هو اللى يصرف ؟ طب مانصرف احنا كمان .

شعلان إحنا علينا نبعد المسئولية عننا ، إحنا لازم نغطى نفسنا ، وعلى مدير المخازن إنه يغطى نفسه .

فهمى بس يغطى نفسه ازاى إذا كنا احنا بنعريه ؟

يسرى ده مش شغلنا ، إحنا مسئولين عن نفسنا وبس . واللى قلناه هو اللى ح يتعمل .. وعشان نخلص م الموضوع ده ناخذ الأصوات .

فهمى مافيش لازمة .. النتيجة معروفة مقدما .. طب قولوا لى وح نعمل إيه فى الحفلة ؟ ح نختار المغنيين والرقاصين والموسيقيين ازاى ؟

يسرى برضه بالمناقصة .

فهمى ياخبر اسود ! دا مش معقول . مش ممكن دى حاجة تطير العقل .. نختار مطرب بمناقصة ازاى ؟ نختار رقاصة بمزايدة ازاى ؟ أنا مش فاهم حاجة أبدا ..

شعلان ماهو لو كنت اشتغلت فى التوريدات واللا فى حسابات المخازن كنت فهمت .

فهمى مطرب بمناقصة ! رقاصة بمناقصة ! .. ياعالم ! .. ياهوه ! هو احنا ح نشترى ترابيزة ؟ !

يسرى وإيه الفرق بين توريد ترابيزة واللا توريد مطرب واللا

رقاصة ؟

شعلان احنا لما بنعوز نشترى ترابيزات واللا خراطيم واللا أى مهمات تانية ، مش بنعلن عن اللى احنا عايزينه فى مناقصة ؟

فهمى آه .

شعلان طب بنعلن ليه ؟ مش بنعلن عشان ندى فرصة لكل اللى عندهم ترابيزات إنهم يتقدموا فى المناقصة ، واللى أحسن وأرخص هو اللى نرسى عليه العطا .

فهمى آه .

شعلان أهو احنا لما نعلن عن مطربين ومطربات ورقاصات وكل اللى احنا عايزينه ، بندى فرصة لكل المواهب ولكل مكاتب الحفلات .

يسرى ودى أحسن طريقة نقطع بها لسان الناس .

شعلان يافهمى افهم . دى مسائل شايكة . ومش عايزين حد يتكلم . إحنا لازم نغطى نفسنا .

فهمى أفهم إيه ؟ هو انا بقى فيه راس تفهم !! المطربين والمطربات فى مناقصة ! ح نفرغهم فى كشوف عطاءات! ونقارن بين مطرب ومطرب ازاى ؟ !

يسرى سيب الحكاية دى ، احنا ح نحط المواصفات اللى عايزينها فى كل مطرب وكل رقاصة وكل موسيقى ،

وح نبت فى المناقصة حسب المواصفات اللى ح نحطها .

فهمى وح نقول إيه فى المواصفات دى ؟ مطرب عاطفى ، طوله ١٧٠ سم . أسود الشعر ، واسع العينين ، خمرى اللون ، فى العقد الثالث من عمره ، ذبذبة صوته ١٨٠ تردد فى الثانية ... راقصة خصرها كذا سنتيمتر ، ومحيط صدرها كذا سنتيمتر ، تهز أردافها كذا هزة فى الدقيقة .. هو دا كلام ! ياعالم .. ياهو .

يسرى طب قول لى إن ماكناش ح نختارهم بالمناقصة كنا ح نعمل إيه ؟

فهمى كنا ح نقول نجيب عبد المطلب ونجاة الصغيرة ونجوى فؤاد .

شعلان واحنا كنا ح نقول لأ .. نجيب صباح وعادل مأمون ومحرم فؤاد .

فهمى أهو كنا ح نتفق فى الآخر .

يسرى ماكناش ح نتفق أبدا . وحتى إذا كنا ح نتفق نروح فين من كلام الناس ؟ ح يقولوا دول جابوا صحابهم ، قليل إن ماقالوا : دول جابوا اللى دفع لهم أكتر . لا يا عم الله الغنى مافيش غير المناقصة .. ده قرار .

فهمى أنا ما اقدرش اتحمل المسئولية دى أبدا .

شعلان		عمر المناقصة ماكان فيها مسئولية .. اطمن .

يسرى		اتكل على وسيب لى الموضوع ده وأناح اعمل لك حفلة العمر اللى الناس كلها ح تتكلم عنها وبلاليم .

(فهمى يغدو ويروح فى الغرفة كالمجنون)

فهمى		ح نجيب مطربين ومطربات ورقاصين وأكروبات بالمناقصة ! ح نعلن عنهم فى الجرايد ! ح نعمل كشوف نفرغ فيها العطاءات ! ح ناخد أرخص الأسعار . دماغى .. دماغى ح تطق .

شعلان		لأ .. ح ناخد اللى مطابق للمواصفات بأرخص الأسعار .

فهمى		وبكده ح نعمل حفلة العمر ! الحفلة اللى ح يتكلم عنها كل الناس !

يسرى		تمام .. تمام .. الحمد لله إنك فهمت .. خلاص يوم سبعتاشر فى الشهر ح نجتمع هنا تانى نبت فى العطاءات .

(فهمى لايزال فى هذيانه)

فهمى		الفن فى مناقصة . الرقص فى مناقصة .. المنولوجات فى مناقصة. إيه التجديد ده ! إيه العبقرية دى ! كل أبراج مخى طارت .. طارت خلاص .

المشهد الثانى

نفس المكتب فى المشهد الأول . فى وسط الغرفة منضدة حولها ثلاثة كراسى وفوقها ظروف كبيرة مكدسة بعضها فوق بعض، جلس يسرى عند رأس المنضدة وعن يمينه فهمي وعن يساره شعلان. وأمام يسرى أفرخ ورق كبيرة ومجموعة من الأقلام ، تركز الكاميرا على نتيجة الحائط . اليوم ١٧ من ابريل سنة ١٩٦٢ .

يسرى (يلتفت إلى فهمى) آدى احنا خلاص انتهينا من مناقصة الفراشة والشاى والحلويات . مبسوط ؟

فهمى الشكل كده مقبول ، لكن التنفيذ ح يبقى ازاى ؟

شعلان ياأخى التنفيذ ده أسهل حاجة . (يتناول كشف تفريغ وينظر فيه) ح نبعت لفراشة الأمانة جواب نقول لها إن توريد ترابيزات حفلة الشاى رسى عليها ، ولفراشة النجاح جواب نقول لها إن توريد المفارش اللى حتتفرش على الترابيزات رسى عليها ، ولفراشة مقبول إن توريد فناجيل الشاى رسى عليها ، ولفراشة النصر إن الأطباق والشوك والمعالق والسكاكين

وكبايات المية رسى عليها .

فهمى أنا مش متصور إن فراش يجيب الترابيزات ، وفراش تانى يجيب المفارش ، وفراش تالت يجيب الفناجيل ، وفراش رابع يجيب السرفيس ، ومخبز يجيب العيش الفينو ، وحلوانى يجيب الجاتوه ، وحلوانى تانى يجيب التورتة ، وحلوانى تالت يجيب البيتيفور ، واحنا نشترى الجبنة والشاى والسكر واللبن عشان ماحدش يضحك علينا ...

يسرى إطمن ده من حقنا . لايحة المشتريات تغطينا فى الناحية دى . (يمد يده ليتناول لائحة المشتريات) تحب تشوف المادة اللى بتقول إن للجنة الحق فى تجزئة العطاءات وأخذ الأرخص والأنسب .

فهمى أنا مصدقك ، لكن مش المهم المادة ، المهم ازاى نفهم ننفذها .

يسرى ح نرجع للمناقشات تانى ؟ إحنا عايزين نخلص مافيش وقت . (يلتفت إلى فهمى) ياللا يا أستاذ فهمى نشوف عطاءات الحفلة . فين كشوف التفريغ ؟

شعلان فيه تلغرافات وتعديلات وصلت من الموردين لازم نشوفها قبل مانرسى العطاءات .

يسرى وصلت فى الميعاد القانونى ؟

شعلان	اللى وصل بعد الميعاد القانونى استبعدته وثبت ده فى المحضر .

يسرى	(يلتفت إلى فهمى) لجنتين تلاتة زى دى وتبقى عقدة فى المناقصات والتوريدات .

فهمى	الله الغنى .

يسرى	اقرا ياسيد شعلان التلغرافات والتعديلات .

(يبسط شعلان برقية ويأخذ فى قراءتها) .

شعلان	برقية من مكتب عنتر . نعرض خصم ٥٪ من أسعارنا فى الراقصات ، و١٠ ٪ من أسعار المطربين والموسيقيين بشرط عدم تجزئة العطاء .

يسرى	اركنه ده للآخر .

شعلان	طب مانكتب الكلام ده قدام العطا بتاعه فى خانة الملاحظات .

يسرى	عندك حق .

(تظهر الدهشة فى وجه فهمى ويفتح فاه فى بلاهة . يقلب يسرى فى كشوف التفريغ العريضة الموضوعة أمامه . ينظر فيها مليا كأنما اكتشف شيئا خطيرا، ثم يلتفت إلى شعلان)

يسرى	ماجمعتش ليه كشوفات التفريغ على بعض ؟

شعلان	مش ح نستفيد حاجة لما نجمع على بعض الراقصات

والمغنيين والموسيقيين اللى مكاتب الفنانين دخلين بيهم فى العطا .

يسرى — إحنا لازم شغلنايكون مزبوط .. مايخرش المايه، خد اجمع الكشوفات .

(يقدم الكشوفات إلى شعلان فيتناولها ليجمعها ، وفهمى يتأفف ثم ينهض فى ضيق) .

شعلان — (يجمع الكشوفات) رقاصة ٣ رقاصات ٧ رقاصات ١٣ رقاصة تلاتة ومعانا رقاصة .. رقاصة ورقاصة يبقوا اتنين .

فهمى — ياعالم .. ياهو .. أنا خلاص .. راسى ح تفرقع . ح تنفجر .

(يلتفت يسرى إلى مكتبه ويشير باصبعه إلى المنشور الخشبى المكتوب عليه «الصبر »)

يسرى — الصبر .

فهمى — المر مش الصبر .. أناح اطق .. ح انفجر . قولوا لى بس انتو ناويين تعملوا إيه ؟

يسرى — اللى عملناه في حفلة الشاى .

فهمى — مش ممكن ! مش معقول ! ح تاخدوا مطرب من مكتب ، ورقاصة من مكتب تانى ، وموسيقى من مكتب تالت ، وقانوننجى من مكتب رابع ، وكمنجاتى

من مكتب خامس ؟

يسرى

وشعلان(معا) تمام كدة .

فهمى لا ده جنان .. أنامش ممكن أشترك فى الجنان ده .

يسرى بلاش الكلام اللى يجرح ونتناقش فى الموضوع . إيه اللى انت بتعترض عليه فى اللى احنا بنعمله ؟ !

فهمى أنا باعترض على كل اللى احنا بنعمله ، مافيش حد قبلنا دخل الفن فى مناقصة أبدا .

يسرى يعنى إذا كان اللى قبلنا غلطوا لازم نغلط احنا كمان !

شعلان (يمد يده إلى لائحة المناقصات) وآدى لايحة المناقصات ، هات لى منها مادة واحدة تخالف اللى احنا بنعمله .

فهمى اللايحة دى اتعملت عشان شرا ماكينات وآلات ومهمات وحاجات لها مواصفات ، يمكن مقارنتها بعضها ببعض ، مش عشان نطبقهاعلى الجاتوه والشاى والفنانين والفنانات .

شعلان ح نرجع تانى للمناقشة دى ؟ ماقلنا مافيش فرق بين توريد ماكنة وتوريد رقاصة .. توريد أسطوانة وتوريد مغنى .

فهمى　ياعالم .. ياهو .. راسى ح تنفجر . بقى الماكنة زى المغنى ؟

يسرى　مافيش فرق من وجهة نظر المناقصات .

فهمى　يعنى بعد ماترسوا العطا ح تعملوا لجنة معاينة فنية ، تعاين الرقاصات وتسمع المنولوجات والأغانى اللى ح تنقال فى الحفلة ؟

شعلان　مافيش لازمة ، وعشان أطمنك أفهمك اننا احتطنا وطلبنا من كل مكتب دخل المناقصة التأمين القانونى.

فهمى　تأمين إيه ؟ ومناقصة إيه وعطا إيه ؟ .. يا اسيادنا افهموا إن الفرقة الموسيقية دى تيم بيشتغل مع بعض .. الموسيقيين عارفين مزيكة الأغانى اللى ح تتغنا والمونولوجات اللى ح تنقال والرقصات اللى ح يرقصوها .

شعلان　ياأخى انت فاكر ماحدش يفهم فى الفن غيرك ؟ . فيه نوت موسيقية لكل غنوة وكل مونولوج وكل رقصة .. وبالنوت دى أى عازف يقدر يشتغل . يقدريضرب أى لحن ، واللا يعنى مافيش حد فاهم فى الفن غيرك !

فهمى　ياناس افهموا .. فيه مقرىء بيقرا فى القرافة ببرتقالة وتلات بلحات ، ومقرىء تانى بياخد جنيهات ! وده

بيقرا قرآن ودا بيقرا قرآن !

يسرى اسمع ياسى فهمى ، اللى بنعمله دا هو الصح ، هو اللى ماشى مع اللوايح والقوانين ، وأنا واثق إنهم ما اختاروناش عبس ، دول اختارونا عشان عارفين إننا مش ممكن نحيد عن النص أبدا .. أنا بقالى سنين أعمل مناقصات وأفرغ عطاءات ، وماجتنيش مناقصة واحدة من ديوان المحاسبة .. عايزنى بعد ما شعرى شاب فى الشغلة دى أغلط واخللى حد يآخذنا .. لا .. أبدا .. والله الحفلة دى ماهى معمولة إلابالمناقصة .

شعلان خلاص الريس حلف ، ياللا ياسى فهمى خلينا نخلص شغلنا .

فهمى (يقوم فى غضب) طب والله ما انا مشترك فى اللجنة دى ، حفلة غنائية تتعمل بمناقصة ، هو دا كلام ! ألغى عقلى ؟ دا مستحيل . (يلتفت إلى شعلان) اثبت ياسيد شعلان فى المحضر إنى أنا منسحب من اللجنة .

(يدور على عقبيه وينصرف) أنا مش ممكن أشترك فى اللجنة دى أبدا .. انتو عايزين إيه ؟ تجننونى ؟ ألغى عقلى ؟

يسرى (فى غضب) مافيش عقل ما دام فيه نص يا سيد

فهمى .

(يختفى فهمى)

يسرى (يلتفت إلى شعلان) مسكين ! لسه بدرى عليه ، قال ينسحب من اللجنة دى ، من اللجنة اللى ماتخرش منها الميه .

شعلان أنا واثق إنهم ح يشكرونا ع العمل الجليل اللى احنا بنعمله .

يسرى (فى خيلاء) أنا عمرى ما بانتظر شكر من حد ، أنا راجل اتخلقت عشان أأدى واجبى وبس .

شعلان لكن برضه الشكر يفرح ، يشرح القلب ، الواحد يحس إن فيه تقدير لجهوده .

(يشرد شعلان ببصره) والله حرمت نفسك ياسى فهمى يامسكين من جواب الشكر اللى كان حيجيلك بعد الحفلة ..الحفلة اللى مش ح يجود الزمن بحفلة زيها أبدا .

شعلان

المشهد الثالث

يفتح ستار المسرح عن أوركسترا غير متجانس ، أقرب إلى التخت فى فرح بلدى . يعزف الأوركسترا لحنا راقصا شعبيا .راقصة من راقصات الموالد ترقص ..

ضحكات بين الجمهور .. الجمهور يظن أن هذه نمرة ترفيهية .. تنتهى الرقصة ويدوى تصفيق ممزوج بضحكات .

ومنولوجست يلقى منولوجا سمجا ، أصوات عدم استحسان وهرج ، ينتهى المنولوجست بين صيحات الاستياء والصفير .

مطرب يغنى لاصلة بين صوته وبين الطرب ، يضيق الجمهور وينفجر مرجل غضبه . تتطاير زجاجات الكوكاكولا صوب المسرح ، ثم يطير كرسى ويتبعه كرسى آخر وتسدل الستا ر ، وتدور فى الصالة معركة .

تمتد أكثر من يد إلى يسرى وإلى شعلان وينهال الضرب عليهما ، وترتفع صيحاتهما والضرب مستمر دون رحمة أو شفقة .

المشهد الرابع

في مكتب يسرى ، يسرى جالس خلف المكتب وقد لف رأسه بشاش أبيض ، وعلق ذراعه فى عنقه ، وجلس إلى جواره شعلان وفى وجهه آثار جروح وكدمات .

شعلان   ياخسارة ! مافيش تقدير ، آخر خدمة الغز علقة .

يسرى   أناعايز واحد بس يناقشنى ، ييجى يقول لى إيه اللى إحنا غلطنا فيه .

(يدخل الفراش مهرولا)

الفراش   البيه المدير .

(ينهض يسرى وينهض شعلان . يدخل المدير وهو غاضب)

المدير   إيه اللى عملتوه ده ؟

يسرى   إحنا عملنا اللى علينا ، عملنا كل شىء مزبوط ، حسب اللوايح والقوانين ، ذنبنا إيه إذا كان الموردين غشوا فى التوريد ؟ لكن ح يروحوا مننا فين ؟

المدير يعنى تقدر تعمل إيه بعد ما باظت الحفلة وسودت وشنا قدام الناس ؟

يسرى أنا كنت محتاط ياسعادة البيه ، كنت طالب منهم تأمينات ، وح اصادر التأمينات دى كلها .

شعلان مش ح يضيع لنا حاجة أبدا ياسعادة البيه .

المدير ابقوا قولوا الكلام ده قدام مجلس التحقيق ، الحق على أنا إللى سلمت لكم دقنى .

(ينصرف المدير فى غضب . يلتفت شعلان إلى يسرى فى دهش)

شعلان مجلس تحقيق ؟ ليه؟ أمال لو كنا سرقنا كانوا عملوا فينا إيه ؟

يسرى دى الفرصة اللى كنت مستنيها ، حظنا م السما .

شعلان ليه ؟

يسرى عشان ربنا بعت لنا مجلس يشوف بعينه احنا تعبنا قد إيه .. يشوف الجهد اللى عملناه .. يشوف سهر الليالى .. ويشوف الأمانة فى تطبيق اللوايح والقوانين وينصفنا ويدينا حقنا ويشكرنا ...

(يسرى يغدو ويروح فى ضيق)

ياخسارة ما فيش تقدير ... ويا ما فى الحبس مظاليم .

رب البيت والدف



نجح حسنى فى امتحان الثقافة ، وشاء أن يتم علومه فى التوجيهى ، ليلتحق بالجامعة ، ولكن أباه رأى أن يختصر الطريق، ويلحقه بخدمة الحكومة ، فالفرصة مواتية لذلك فصديقه الحميم قد أصبح وزيرا ، وهى فرصة تمكنه من إلحاق ابنه بإحدى الوظائف الكتابية فى الدرجة الثامنة ، وقد لا تعود هذه الفرصة بعد تخرجه فى الجامعة ، وفضلا عن ذلك ، فإن المدة التى سيقضيها فى التوجيهى والجامعة ستحسب له فى مدة الخدمة ، وكما هى القاعدة ـ فى الظروف العادية فقط التى لا يكون فيها لبعض الناس مصلحة أخرى تغير كل قاعدة وتنسخ كل قرار ـ « أقدم منك بيوم يرقى قبلك بسنة » . مهما اختلفت الكفايات والمؤهلات، فإن هذه المدة ستكسبه أقدمية فى الترقية . وستؤهله لأن يرقى قبل الجامعى الذى سيلحق فى نفس الدرجة بعده ولو بيوم واحد ، لذلك عقد العزم على أن يوظفه ، وأن يضرب باعتراضات ابنه عرض الحائط ، فنزل حسنى على رغبة أبيه ، على مضض ، وعرضت أوراقه على الوزير ، فوقع عليها بتعيينه فورا ، فلم يقف حسنى بالأبواب ، ولم يرق ماء وجهه فى البحث والسؤال ، ولم يضطر إلى محادثة هذا ورجاء ذاك ، والاتصال بمدعى صداقات

العظماء ، ليسهلوا له حصوله على الوظيفة ، بعد أخذ المعلوم .
ولم يقف الساعات والأيام أمام إدارة المستخدمين راجيا تحويله (إلى اللجنة الطبية) ، ولو قارف شيئا من ذلك لرأى لونا جديدا ما رآه بعد . ولكنه لم يقارف شيئا من ذلك ، فصداقة الوالد سهلت له الأمور ، وتوقيع الوزير كان يعمل فى الموظفين عمل السحر ، فكم من موظف كسول دب فيه النشاط لما رآه ؟ وكم فظ جاف بش لحسنى وهش ، إكراما لتوقيع الوزير ، ومرت الأوراق بسلام من تحت يدى من لا عمل لهم إلا تعقيد الأمور ، والتشبث بأوهى الأسباب لتعطيل مصالح الناس ..

وتم تعيين حسنى بعد أيام ، وأمر بتقديم نفسه إلى مصلحة خارجية تابعة للوزارة ، فقدم نفسه فى اليوم التالى إلى باشكاتب المصلحة ، الذى حول إلى مكتب تابع لمصنع كبير ، فوجد فى المكتب ثلاثة موظفين ، فحياهم ، وجلس يحادثهم و يحادثونه ، فأظهروا نحوه أجمل العواطف ، وشنفوا أذنيه بمعسول الكلام ، وعرضوا عليه مساعدتهم حتى يألف العمل ، فشكرهم وحمد الله على أن جعله زميلا لهؤلا الموظفين الطيبين .

كان حسنى حديث السن ، فلم يتجاوز الثامنة عشرة بعد ليس له خبرة بالحياة ، ولم يعرف عنها سوى القشور التى لمسها فى البيت والمدرسة ، ولم يصادف فى حياته صعوبة ، فقد كان أبوه يذلل له جميع الصعوبات ، فشب وهو يعتقد أن الدنيا جميلة ، ممهدة

الطرقات ، مفروشة بالورود ، وأن المحبة والوئام والسلام ترفرف على العالم بأجنحتها الجميلة ، فراح يصادق زملاء المكتب ، كما صادق زملاء المدرسة ، وما درى أن الصداقة هنا تختلف عن الصداقة هناك ، وأنه لا صداقة فى الحكومة ، إلا اذا كانت هناك مصلحة متبادلة بين المتصادقين ، فإن عدمت هذه المصلحة فلا صداقة ولا أصدقاء ، بل غالبا ما تنقلب هذه الصداقة إلى عداوة مبينة إن تعارضت المصالح واختلفت الأطماع ، وما لنا نتعجل ، فسيعلم حسنى هذا ، ومن يدرى ؟ فقد يعلم ما لا نعلم .

وكان حكمه على الأشياء سطحيا ، فكل ما هو براق ذهب ، وكل ما علاه صدأ فهو رخيص ، وما حاول أبدا أن يزيل الصدأ ليتعرف نوع المعدن الذى تحته ، وكانت تخدعه الظواهر ، فكل من يبتسم له فهو صديق ، وكل من يعبس فى وجهه فهو عدو ، وما كان حسنى ممن يتحكم فى عواطفه ، أو ممن يستطيع كبتها ، ولكنه كان إذا غضب ظهر الغضب فى وجهه ، وإذا فرح بان السرور عليه ، وإذا نطق نطق بما فى صدره ، لا يخفى أو يحترس عندما يتكلم ، كان يتحدث بكل ما يخطر على قلبه ، ولم يكن بعد قد تعلم الحكمة الذهبية الهندية التى يتعلمها كل الموظفين ، لينالوا رضا الرؤساء والزملاء ، وهى : «أن يكون أعمى لا يرى شيئا ، وأصم لا يسمع شيئا ، وأخرس لا ينطق بشىء » .

ومرت الأيام ، ولاحظ حسنى على زملائه أشياء أسقطتهم من

عينه ، فدب الفتور بينهم وبينه : لاحظ أن العامل لا ينال إجازته إلا اذا قدم لهم هدية صنعها فى المصنع كمبسم سيجارة ، أو خاتم جميل ، أو قرط ، أو منفضة لفائف ظريفة . وما كان يمر يوم إلا ويصنعون شيئا فى الورشة ، فهذا يعمل مشعلة للبيت ، ذلك يهيىء مزلاجا للباب ، والثالث يعمل بعض أدوات للمطبخ ، وما كانت تنتهى حاجاتهم أبدا ، وعلم حسنى أن لكل شىء ثمنا ، فامتعض ، وظهر إمتعاضه ، فلم يسمع منهم إلا ضحكات السخرية والإستخفاف ، وفى ذات يوم ، قدم إليه رئيس العمال محبرة فاخرة وهو يقول :

ـ هذه هدية متواضعة لا تليق بالمقام .

فظهر الغضب فى وجه حسنى ، وانتقض وثار ، وتناول المحبرة ، وألقى بها بعيدا ، ولم ينبس بكلمة ، فقال له أحد زملائه معاتبا:

ـ أهذا جزاؤه ؟ يقدم إليك هدية فاخرة ، فبدلا من أن تشكره، تقابله هذه المقابلة الجافة ؟

ـ أيعرفنى ، لمَ يقدم إلى هدية ؟

ـ تحية .

ـ تحية على حساب الدولة ، أما كان هناك طريقة لتحيتى خير من أن يسرق أموال الدولة ، ويقدمها إلى ؟ إنها رشوة .

فقال أحدهم محتدا :

ـ رشوة ؟ ومن أنت حتى يحاول الناس رشوتك ؟

ـ أنا مسجل الخامات التى تصرف فى المصنع ، فإن توطدت الصداقة بينى وبينه ، ضمن التصرف فى الخامات كما يحلو له .

فقال آخر :

ـ أنت واهم . خدعتك سجلاتك ، فما هى إلا حبر على ورق . أخبير أنت . أتعرف ما تحتاج إليه عملية من العمليات من الخامات؟ ما أنت إلا مسجل لما يقدم إليك ، فلو شاء أن يتصرف فى الخامات ، لتصرف دون أن تعلم أو تحس .

وارتفع الجدل بينهم ، ولم ينته إلا بعد أن أصبحت الجفوة بين حسنى وبينهم كاملة . وأظلمت الحياة فى نظره ، فقد شعر لأول مرة أن هناك أناسا لا يرتاحون إلى وجوده بينهم ، ولا يحبونه ، فأحس كرها للمكتب ، وتمنى أن تتاح له الظروف ، ليفر من هذا المكان الموبوء .

أحس حسنى بعد أن أصبح موظفا ، أنه صار شيئا مذكورا ، ورأى أن يندمج فى حزب من الأحزاب ، وعلم أن هناك حزبا من الشباب يدعو إلى الأخلاق القويمة ، يدعو إلى المعروف ، وينهى عن المنكر ، ولما كان حسنى ممن يؤمنون بالمثل العليا ، بهرته مبادىء الحزب ، فانضم إليه وراح يقضى جميع أوقاته فيه ، يستمع إلى الزعماء ويتأثر بهم ، فتعلم منهم أن للإنسان الفاضل رسالة علية تبليغها ، ولا يثنيه وعيد ، ولا يخيفه تهديد ، فعليه أن يحتمل صنوف الاضطهاد فى سبيل رسالته ، وأن يقوم المعوج

بيده، فإن لم يستطع فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقلبه ، فعقد العزم على أن يقوّم زملاءه فى المكتب ، عملا بالحكمة المأثورة « الأقربون أولى بالمعروف » . وراح يغمغم : إن فى إصلاح الناس لراحة للنفس خير راحة » .

جلس حسنى فى مكتبه يعمل فى هدوء . ودخل أحد العمال يحمل هدية فى يده ، وطلب الإجازة فى الأخرى ، فالتفت حسنى إلى زميله وقال له :

ـ والله إنى لأعجب لك . كيف تقبل منه هديته ؟ ألا تعلم أنه سلب الحكومة وقتها وخاماتها ؟ ألا تعلم أنك شريك له فى سرقته ؟ إنها سرقة . أجل سرقة . تدفع لك الحكومة راتبا لتقوم بعملك ، فلا تقوم به إلا اذا تناولت أجرا آخر .

وتدفق الوعظ المختلط بالسباب من فيه ، فزمجر الموظفون ، وراحوا يطعنونه ويشتمونه ، فلم يغضب ، بل شعر براحة واطمئنان، وقال بصوت هادىء :

ـ والله ما أقول لكم إلا كما قال نبينا الكريم : « اللهم اغفر لقومى ، فإنهم لا يعلمون » .

فضج الزملاء بالضحك ، وقال أحدهم متهكما :

ـ الصلاة والسلام عليك أيها المهدى المنتظر .

واستمرت المشادة بينهم ، وما كان يمر يوم بسلام . وكان حسنى يشعر بعد كل مشادة بتلك الراحة التى يشعر بها الواعظ عقب

إتمامه موعظته ، وبالرغم من زجره إياهم ، ومواعظه المتدفقة ، ما توقفت الهدايا ، وما امتنعت الأشغال الخاصة ،

وضاق بهم ، فقال لهم :

ـ والله لأقسون عليكم ، وما ذلك إلا لمصلحتكم .

ثم أنشد:

فقسا ليزدجروا ومن يك حازما   فليقس أحيانا على من يرحم

فقال أحدهم متهكما :

ـ الله الله يا شاعر الغبراء .

ثم أشار بيده إشارة تمثيلية ، ثم قال :

ـ فليفعل سيدى الشاعر الواعظ الهادى المهدى ما يحلو له .

فقال حسنى :

ـ قد أعذر من أنذر .

وفى ذات يوم لمح أحدهم يلف حبلا طويلا من سلك الكهرباء المجدول ، فقال له :

ـ الأفضل إعادة هذا السلك إلى المخزن .

ـ وإن لم أعده ؟

ـ سأبلغ الرئيس .

ـ افعل ما بدا لك .

ـ قلت أرجعه .

ـ والله لآخذنه على رغم أنفك ، والله ما كنت أعلم أن

الحكومة أمك .

ـ والله لأبلغن الرئيس .

ودخل حسنى على الرئيس ، وقد ظهر الغضب فى وجهه ، وقال بصوت يتهدج غضبا :

ـ أخذ متولى سلكا كهربيا ، وطلبت منه إعادته ، فأبى .

فنظر إليه الرئيس شزرا وقال له :

ـ وأنت مالك ولهذا ، كن فى حالك ، أهو مال أبيك ؟ اخرج .

فأحس حسنى دوارا ، وشعر كأن الأرض تميد به وأظلمت الدنيا فى وجهه ، وما درى ما يفعل وما يقول ، وأخيرا خرج يجر رجليه جرا .

وفى ذات يوم اتجه إلى المخزن ، فرأى الرئيس يأخذ خامات ، فوقف بعيدا وغمغم :

إذا كان رب القسم بالسف مولعا

فشيمة أهل القسم كلهم السف

وخرج الرئيس ، ودخل حسنى ، والتفت إلى أمين المخزن ، وقال له :

ـ كيف تقبل أن يأخذ منك كل هذه الأشياء ؟

ـ وماذا أفعل ؟

ـ تمنعه ..

ـ كيف أمنعه ، إنه رئيس القسم المتصرف فيه .

ـ ولكنك أمين المخزن ، وعينتك الحكومة ، ودفعت لك مرتبك لكيلا تصرف شيئا إلا فى وجهه الصحيح .

ـ والله إن منعت عنه شيئا ، فلن أرى المخزن بعدها أبدا ، الحق هنا فى جانب الأقوى .

ـ والله لأكتبن شكوى بما رأيت ، وسترى فى جانب من يكون الحق . وسأطلبك شاهدا ... أتشهد ؟

ـ وهل فى ذلك شك : (ولا تكتموا الشهادة ، ومن يكتمها فإنه آثم قلبه) .

وأطمأن حسنى إلى شهادة أمين المخازن ، وراح يكتب شكواه، فقد أقبلت الفرصة التى ينتقم فيها لكرامته .

وبلغت شكوى حسنى المدير ، فأمر بتشكيل مجلس تحقيق من الموظفين زملاء رئيس القسم ، واستدعى رئيس المجلس أمين المخازن لأخذ أقواله ، فأنكر أن رئيس القسم أخذ شيئا من عنده ، وقال : إن عهدته كاملة ، لا عجز فيها ، ويمكن المجلس أن يأمر بجرد المخزن للتحقق من ذلك . فاكتفى المجلس بذلك ، وكان المجلس مستعدا لأن يكتفى بما دون ذلك ، بل من غير ذلك ، وراح المجلس يأخذ أقوال حسنى ، وأقوال رئيسه فيه ، وانقلب الوضع ، فأصبح حسنى المتهم ، وصار رئيسه صاحب الحق ، وانتهى مجلس التحقيق من مهمته وقد قرر أن حسنى مشاغب ، وطلب عزله ، فاكتفى المدير بخصم أيام منه ، وأنذره بالعزل إن عاد لمثل ذلك .

وعاد حسنى إلى مكتبه والألم يحز فى نفسه ، ومرت الأيام ، وراحت نفسه تصفو ، وتفتحت عيناه ، وتعود رؤية ما يدور حوله، وألف منظر العمال وهم يحملون الهدايا للموظفين ، ولم يعد يشعر بغضاضة فى ذلك ، ودخل رئيس العمال فقال له حسنى :

ـ إنى محتاج إلى محبرة صغيرة ، هل أطمع فى محبرة كتلك المحبرة ال..

وضحك حسنى ، وضحك رئيس العمال ، وقال :

ـ ستكون أفخم منها .

وقدمت إليه المحبرة ، فأخذها ، وخرج مع زملائه ، وهو يحمل مثلهم بعض خيرات المصلحة لأول مرة .

واحتاج إلى طلاء كرسى البيت ، فأخذ علبة طلاء ، وراح يلفها ، فالتفت إليه أحد زملائه ، وقال مازحا :

ـ ما هذا ؟

ـ لا شىء .

ـ تأخذ خامات المصلحة ؟ ما شاء الله !

فرفع حسنى رأسه ، وقال محاكيا الرئيس :

ـ أنت مالك ، كن فى حالك ، أهو مال أبيك ؟ .

الباشكاتب



تمت الساعة التاسعة أو كادت ، ووصل حضرة الباشكاتب إلى مكتبه . كان قصير القامة ، منتفخ البطن ، أسمر اللون ، فى وجهه بقع سود ، مفلفل الشعر ، خفيف شعر اللحية والشارب ، أحمر العينين ، كبير الأنف ، واسع الفم ، وكانت شفته السفلى مدلاة ، وما كان يرى إلا وأنبوبة الدخان فى زاوية فمه ، قابضا عليها بأسنانه الصفر المقوسة ، وكان اذا ما تكلم اهتز الأنبوب إلى أعلى وإلى أسفل ، وتبع ذلك اهتزاز حاجبيه ، فكأنما كان بينهما ارتباط وتوافق ، وما كان يتكلم إلا الإنجليزية ، وغالبا ما كان يرصعها ببعض الألفاظ العامية . وكانت لهجته الإنجليزية لا بأس بها اقتبسها من طول معاشرته الإنجليز فى السودان ، فقد عمل معهم قبل أن يلتحق بخدمة الحكومة ، وكان يحاكى التراجمة ، يتكلم ولا يجيد الكتابة ، وإن ظن مرءوسوه أنه يستطيع أن يكتب الانجليزية كما يكتبها الإنجليز أنفسهم ، ولما رأوه يكتب بعض صور الرسائل المألوفة التى كان يكتب مثلها أيام أن كان فى السودان ، ولو كلف كتابة موضوع يختلف عما ألفه ، لظهر المستور ، ولكن الله ستار .

وكانت ثقافته محدودة ، ولو شئنا الدقة ، وتبرئة ذمتنا لقلنا إن ثقافته معدومة ، فما كان يصلح إلا أن يكون « باشكاتب » ، فهى وظيفة لا تتطلب منه إلا أن يوقع الرسائل بجوار توقيع مرءوسيه ، وهو ـ الشهادة لله ـ يجيد التوقيع ، وإن مدير البنك الأهلى الذى يوقع أوراق البنكنوت ليحسده على توقيعه الجميل ، الذى يضعه بالمداد الأحمر على كل ورقة ، وكل أمر كجواز للمرور .

وكان حضرته تافها فى كل شىء ، تافها فى تفكيره ، تافها فى حكمه على الأشياء ، تافها فى غضبه ورضاه ، فقد كانت كلمة رياء ترضيه ، وبضعة قروش يستدينها من أحد مرئوسيه تجعله يفكر فى الانتقام منه ، بل التنكيل به إن أتيحت له الفرصة ، كان طفلا فى ثوب شيخ ، أو شيخا يفكر بعقل طفل ،

جلس حضرة الباشكاتب على مكتبه ، وضغط زر الجرس ، فأسرع مرءوسوه إليه يحيونه ، ويقدمون إليه ما أنجزوا من أعمال ، ليوقع عليها ، فتناول الأوراق منهم ، ووضعها أمامه ، وأخذ يحادثهم قليلا ، ثم انصرفوا ، وضغط زرا آخر ، فرن جرس الردهة الخارجية ، فجاء الفراش يهرول ، ولما دخل الحجرة رفع يده إلى رأسه وقال :

ـ صباح الخير يا سعادة البك .

ـ الفطور والقهوة حالا .

وغاب الفراش مدة ، ثم عاد يحمل صينية عليها طبق من

الفول ، ورغيف ، وفحل بصل ، وكوب ماء ، فراح الباشكاتب يأكل، ولما أتى على ما أمامه تجشأ ، ثم مد يده فى تراخ ، وتناول ورقة من على المكتب ، ومسح بها يديه ، فمه ، وكورها ، وهم بإلقائها فى سلة المهملات ، ودخل أحد مرءوسيه يبحث عن طلب على المكتب فلم يجده ، فسأل :

ـ أين الطلب الذى كان هنا يا حضرة الباشكاتب ؟

ومد له يده بالورقة المكورة ، فقال مرءوسه بلهجة استنكار :

ـ مسحت به إيديك ! إنه طلب هام ، قدمه أحد الباشوات ، فرأيت أن أفصله عن البريد العادى ، لأهمية مقدمه .

فتح الباشكاتب الورقة المكورة ، وحاول أن يعيدها سيرتها الأولى ، ثم دفعها إلى مرءوسه ، وقال :

ـ خد أعد كتابة الطلب على ورقة نظيفة .

ـ وإمضاء الباشا مقدم الطلب ؟

ـ أهذا عسير ؟ وقع بدلا منه

فتناول المرءوس الورقة التى تفوح منها رائحة الزيت والبصل وانصرف ، ودخل الفراش يحمل القهوة ، فوضعها على المكتب ، ورفع الصينية الثانية ، فتناول الباشكاتب القهوة ، وراح يرشفها متمهلا . وتناول رغبات الاستخدام ، وأخذ يتأملها ، فألفى بعضها خاليا من التوصيات ، فمزقها ، وألقى بها في سلة المهملات ، ووجد ثلاث طلبات مرفقا بها ثلاث بطاقات ، لثلاثة رجال من

الكبراء ، ففصل البطاقات عن الطلبات ، ثم مزق الطلبات ، ومد يده إلى درج المكتب وفتحه ، وأخرج منه ثلاثة طلبات ، وأرفق بها البطاقات الثلاث ، وبذلك ضمن تعيين ثلاثة ممن يرغب فى تعيينهم .

ووضع الطلبات الثلاثة فى ملف العرض ، وراح يوقع البريد اليومى ، ثم حمل الملفات ، ودخل على المدير ، ليعتمد منه ما يحتاج إلى اعتماد ، وغاب فى مكتب المدير مدة طويلة ، ، ولما غادره ، مر على غرفة مرءوسيه ، وقدم إلى حسين أفندى طلبات الاستخدام ، وقال له :

ـ اكتب لأصحاب هذه الطلبات بالحضور للكشف الطبى حالا .

ـ من عينى يا سعادة البك .

والتفت الباشكاتب إلى موظف آخر ، وقال :

ـ تعالى يا مصطفى أفندى .

فنهض مصطفى ، وسار الباشكاتب وملف العرض تحت ابطه ، ومصطفى فى أثره ، حتى بلغ مكتبه ، فتح درجا ، وأخرج كشف حساب لدائرة كان يعمل بها بعد الظهر ، وكان صاحب الدائرة زميلا له فى السنة الثانية الابتدائية ، وقد قابله فى أحد الأيام مصادفة بعد عودته من السودان ، فسأله الزميل عن حاله ، فشكا له صعوبة الحياة ، فسأله أن يقابله فى الدائرة وعرض عليه أن يعمل عنده بعد الظهر ، ولم يكن يعمل للدائرة شيئا ، فقد كان مرءوسوه

فى الحكومة يعملون ولا يقبضون ، وهو يقبض ولا يعمل ، ومالنا ولهذا ، فقد كان هناك عمل وهناك أجر ، أما من يعمل ومن يقبض، فلا شأن لنا به . وقدم الباشكاتب كشفا إلى مصطفى ، وقال له :

ـ أرجو يا مصطفى أفندى أن تجمع هذا الكشف ، وتكتبه على الآلة الكاتبة من صورتين ، فتناول مصطفى الكشف ، وتفرس فيه قليلا ، ثم رفع رأسه وقال :

ـ هذا عمل غير مصلحى يا حضرة الباشكاتب .

ـ هذا العمل خاص بى ، وأرجو أن يتم سريعا .

ـ لست مكلفا بعمل أشغالك الخاصة .

فنظر الباشكاتب إليه ، وقد بان الغضب فى وجهه ، وقال وهو يهز رأسه هزات متتابعات :

ـ متشكر يا مصطفى أفندى .

ودار مصطفى ليترك الغرفة ، ولما كان حضرة الباشكاتب كالأطفال لا يستطيع أن يكتم غضبه ، أو يؤخر انتقامه ، فإنه صاح فى مصطفى :

ـ إلى أين ؟ .انتظر .

فالتفت مصطفى إليه ، فألقاه تناول ملف البريد اليومى المعد للتوزيع على المكتب جميعه للرد عليه ، ويدفع به إليه وهو يقول

ـ خذ .. هذا عمل حكومى ، لابد من انجازه اليوم ... اليوم

... أتسمع ؟

فتناول مصطفى الملف ، ولم ينبس ، وترك الغرفة وانصرف ، ونادى حضرة الباشكاتب حسين أفندى ، وقدم إليه كشف الدائرة ، وطلب منه سرعة إنجازه ، فأخذه وهو يتمتم :

ـ أنا فى خدمتك يا سعادة البك .

وهم بالانصراف ، فقال له الباشكاتب :

ـ أتحضر عندى الليلة لنتم باقى حساب الدائرة ؟

ـ أنا تحت أمرك يا سعادة البك .

ـ لا تنس أن تأخذ معك رزمة ورق مسطر ، وبعض أقلام .

ـ رزمة واحدة ؟ ! قل رزمتين ثلاثا ، وما أكثر الورق عندنا .

أكب مصطفى على عمله ، وراح يعمل ، حتى أوشك أن ينتهى من بريد المكتب جميعه ، وأحس عطشا ، فقام ليشرب ، وكان الباشكاتب لا يطيق أن يمر اليوم دون أن ينتقم منه ، فكان يقوم بين الفينة والفينة ، ويختلس النظر إلى مكتبه فكان يجده عاكفا على عمله ، فيعود إلى مكتبه يتميز غيظا ، وقام كعادته ليرقبه ، فلم يجده على مكتبه ، فأسرع إلى غرفة المدير ، ودخل ، وأخذ يتمتم وقد تصنع الغضب :

ـ لا . هذا كثير . حتام أصبر عليهم .

فقال المدير مستفسرا :

ـ ما هناك يا حضرة الباشكاتب ؟

ـ آسف لإزعاج سعادتكم ، ولكن ما أفعل وقد خرج الأمر من يدى . نصحته كثيرا فما نفع النصح ، وزجرته كثيرا فما أفاد الزجر، إنه قدوة سيئة لزملائه ، سيفسد المكتب كله ولا ريب .

فقال المدير بلهجة الغضب ، فقد نجح الباشكاتب فى استفزازه :

ـ من هو ؟

ـ مصطفى أفندى ، أقول له « افعل هذا » ، فلا يفعله ، « لا تغادر مكتبك » فيتركه ، إنه لا يستقر عليه أبدا ... أبدا .

ـ ناده .

خرج الباشكاتب مسرعا إلى مكتب مصطفى ، فألفاه عاكفا على عمله ، فقال له بلهجة تعسف ، فيها رنة فرح وتشف ، كما يفعل الأطفال تماما :

ـ تعال كلم سعادة الباشا .

فنهض مصطفى ، وسار خلفه ، وانطلقا إلى غرفة المدير ، ودخلا ، وما أن وقع نظر المدير على مصطفى حتى صاح :

ـ اسمع يا أفندى ، كثرت الشكوى منك ومن إهمالك ، فإن لم تنته ، فما أمامى إلا طردك .

ـ يا سعادة الباشا ...

ـ اسكت ... هذا إنذارى الأول والأخير ، فإن اشتكى منك حضرة الباشكاتب مرة أخرى ، فلن أحجم عن طردك .

ـ كلمة يا سعادة الباشا .

ـ ولا كلمة .

ـ طلب منى حضرة الباشكاتب أن ...

ـ قلت لك اسكت .

وصاح مصطفى :

ـ يا سعادة الباشا ..

ـ خصم ثلاثة أيام ، وكلما نطقت حرفا زدنا الخصم يوما .

فصمت مصطفى على مضض ، ونكس رأسه ، فصاح المدير فيه.

ـ اخرج .

فخرج تصرف أنيابه من الغضب ، وتبعه الباشكاتب منتفخا ، وأسرع الخطا حتى لحق به ، ورمقه بنظرة خاطفة . وابتسم ابتسامة انتصار ، فصوب إليه مصطفى نظرة أودعها كل احتقار ، ثم أشاح بوجهه ، وعاد إلى مكتبه .

* * *

جلس حضرة الباشكاتب فى داره ينتظر حسين أفندى ، ورزم الورق والأقلام ، ورن جرس الباب فأسرع وفتحه ، فوجد حسينا يحمل الورق ، وخلفه حمال يحمل قفصا ، وما إن رأى الحمال حتى التمع الفرح فى عينيه ، وهزه الطرب ، فابتسم . لقد عوده حسين أن يهديه هدايا من خيرات الريف تسيل اللعاب ، والتفت إلى حسين ، وقال :

ـ ما هذا يا حسين ؟

ــ أشياء تافهة ، فراخ محمرة ، قليل من الجبن ، قليل من البيض ، أشياء لا تليق بالمقام .

ـ ولم هذا التعب ؟

ـ تعبك راحة يا سعادة البك .

ودفع حسين أجر الحمال ، بعد أن وضع القفص على نضد كان يتوسط المكان ، ثم جلس على كرسى من الخيزران . وجلس الباشكاتب على مقعد آخر ، وكان يختلس النظر إلى القفص من وقت لآخر . وهم أكثر من مرة بالنهوض ليفحص عما فى القفص ، لولا بعض الحياء الذى كان يمنعه ، ونهض أخيرا ، وأحضر أوراق الدائرة ، وجعل يقلبها بين يديه ، ثم التفت إلى حسين وقال :

ـ سأطلب منك يا حسين أفندى خدمة صغيرة .

ــ أنا خادمك المطيع ، رهن أشارتك ، مر وما علينا إلا التنفيذ.

ـ العفو .. العفو .. أنت الخير والبركة ، إنى أشعر اليوم بتعب وتوعك بسيط ، ألا تتكرم وتتم هذه الكشوف الليلة ، وتحضرها معك غدا صباحا ؟

ولم ينتظر إجابة حسين أفندى ، بل دفع إليه بالكشوف ، فتناولها مستأذنا ، وانصرف بعد أن أغلق الباب خلفه ، فأسرع الباشكاتب إلى القفص ، وراح يفك أربطته على عجل ، ومد يده

وأخرج فرخه محمرة ، فأخذ يقضمها بشراهة .

* * *

وفى يوم طلب المدير حضرة الباشكاتب ، ولما مثل أمامه قال له:

ــ حان ميعاد كتابة تقارير الموظفين السرية ، وكنت أحب أن أكتبها بنفسى ، ولكن لما كنت أوقن أنك أعلم بكفاية مرءوسيك منى، رأيت أن أعهد إليك بكتابة تقاريرهم ، وكل ما أطلبه منك هو أن تكتببها بما يرضى الذمة والضمير .

ــ سعادتك تعرف مقدار حرصى على المصلحة و ..

ــ أعرف هذا ، ولولا ذلك ما عهدت إليك فى كتابة هذه التقارير .

وأخذ الباشكاتب التقارير ، واتجه إلى مكتبه ، وتناول قلما ، وراح يكتب ملاحظاته على كل موظف ، فكان يوصى بترقية كل موظف فى دوره ، ولما وصل إلى تقرير مصطفى ، راح يكتب بانفعال : « مشاغب ، مستخف بعمله ، وأوصى بتأخير ترقيته »، وأستأنف كتابة التقارير العادية ، حتى بلغ تقرير حسين ، فكتب « نشيط و يعتمد عليه جدا ، مثال الموظف النزيه ، وأوصى بترقيته قبل دوره » .

فى قافلة الزمان

نملك اليوم أن نقول إن عندنا قصة طويلة ، أى رواية ، كما نملك أن نقول إننا نساهم فى تزويد المائدة العالمية فى هذا الفن بلون خاص ، فيه الطابع الإنسانى العام ، ولكن تفوح منه النكهة المحلية، وهذا ماكان ينقصنا إلى ما قبل أعوام !

فإذا طاب لنا أن نقرر هذه الحقيقة ، فلنذكر اسمى الشابين المصريين اللذين قدما لنا البرهان عليها وهما ، نجيب محفوظ وعبد الحميد السحار، اللذين سأتحدث عن روايتيهما الجديدتين : « زقاق المدق لنجيب » و « فى قافلة الزمان لعبد الحميد » .

ولكننا لا نكون منصفين إذا لم نتتبع حلقات السلسلة من أولها ونحن فى معرض التسجيل .

يجب أن نرجع حوالى نصف قرن لنجد المويلحى يحاول فى حديث « عيسى بن هشام » أن يضع أساس الرواية المصرية ، قابضا على مقامات الحريرى والهمذانى بيد ، ومستندا باليد الأخرى إلى البيئة المصرية ومقتضياتها الحديثة .

ثم تمر سنوات طويلة حتى نرى هيكل يحاول فى « زينب »

محاولة أخرى من نوع جديد ، يرنو فيها إلى الطريقة الأوروبية الحديثة فى القصة بعين ، ويتجه بالعين الأخرى إلى البيئة المصرية فى أيام الحرب العالمية الأولى ، ولكن فى محاولة ساذجة أولية .

ثم نخطو خطوة أخرى ، بل نقفز قفزة واسعة ، لنجد إبراهيم الكاتب » للمازنى سنة ١٩٣١و « عودة الروح » لتوفيق الحكيم فى سنة ١٩٣٣ ، وفى هذه الرواية الأخيرة بصفة خاصة تبدو المحاولة واضحة لاستيحاء البيئة المصرية فى صورة إنسانية ، ومع أن رواية « إبراهيم الكاتب » أكثر حيوية وأشد حرارة ، إلا أن « عودة الروح » نقطة البدء الحقيقية ، فى وضع رواية فنية مصرية ، ذات طابع إنسانى عام .

ولا نملك أن ننسى فى هذا السياق ، روايتى « دعاء الكروان » و« شجرة البؤس » للدكتور طه حسين ، ولكننا نقرر أنهما لم تكونا مصدر إيحاء لكتاب الرواية ، وبخاصة للشابين اللذين نتحدث عنهما ، بقدر ما كانت « عودة الروح » لتوفيق الحكيم .

فمن نقطة البداية التى خطها توفيق تابعا سيرهما مباشرة .

... قافلة الزمان أول رواية يؤلفها الأستاذ السحار ، ولكنها ليست بداءة ، إنها أقرب إلى أن تكون قمة ، قمة فى فن الرواية بصفة عامة .

(الرسالة)

النقاب

مما لا ريب فيه أن الأستاذ عبد الحميد جودة السحار فى طليعة أولئك الشبات الذين يجاهدون فى ميدان الأدب القصصى ، ليخلقوا للقصة المصرية مكانة مرموقة ، وقد تفاوت النجاح الذى أصابه فى جهاده باختلاف أعماله القصصية الكثيرة ، وإن كنت مقتنعا أن روايته « فى قافلة الزمان » تعتبر قمة نجاحه القصصى.

أما قصته الجديدة « النقاب » فهى قصة ناجحة ، مافى ذلك شك ، وقد عالج فيها موضوعا يتغلغل فى صميم النظام الاجتماعى السائد ، تناوله غيره من الكتاب بالبحث والدراسة ، ولكنه أبدع فيه بما يضفى على القصة من جو نفسى رائع . وقد كان أسلوب الأستاذ السحار ، المتميز بالسلاسة والصفاء ،، سلاسة الينبوع المتدفق ، وصفاء البحيرة الساكنة ، واضحا متميزا فى هذا الكتاب ، ولابد للناقد أن يعجب بسيطرة الأستاذ السحار على الجو النفسى فى القصة ـ حسين ـ حائر بين مشاعر قلبه المبهمة ، التى تدفعه بيد خفية إلى الاتجاه نحو ابنة عمه ، وبين مشاعر الألفة والعزة التى يوحى له أن علية لاتصلح شريكة لحياته ، لأنها من

أسرة تبذ أسرته فى الثروة والغنى ـ ومحمود أفندى ـ والد حسين ـ حائر بين الموافقة على زواج ولده من هدى لتحقيق سعادته ، وهو مايهدد علاقته بأخيه بالدمار ، وبين حمله على الاقتران بابنة عمه وتحطيم فؤاده ، وهذا صيانة للأواصر بينه وبين أخيه ، وهدى حائرة بين أن تفضى لزوجها بسر ماضيها ، أو أن تكتم عنه كل شىء ، وتسلم الأمر بين يدى المقادير .

وهكذا نجد كل شخصية من شخصيات القصة مسرحا للصراع النفسى العنيف ، ولكن الزمام لم يفلت من قلم المؤلف فى تلك المواقف جميعها .

(الرسالة)

المسيح عيسى بن مريم

الأستاذ عبد الحميد جودة السحار من خيرة المضطلعين بتغذية المكتبة العربية بكثير من السير ، فقد قدم لنا من قبل سيرة الاشتراكى الزاهد (أبوذر الغفارى) وسيرة القائد العظيم (سعد ابن أبى وقاص) وغيرهما . واليوم يقدم لنا سيرة المسيح عيسى بن مريم فى أسلوب قصصى سهل ، يجتذب القارىء إلى عباراته المشوقة ، وأحاديثه الممتعة .

والكتاب فلتة نادرة دل على كثير من التوفيق الذى صادف

مؤلفه الفذ ، الذى نرجو له مواصلة الجهاد فى ميدانه ، ليؤدى فضلا إلى قراء العربية ،، يغبطه الجميع عليه .

(مجلة الدعوة)

إننا نرحب كل الترحيب بكتاب السحار موضوعا ورمزا لهذا الأديب الخلاق ، الذى نؤمن بمستقبله ، لأنه يؤمن برسالته ، ولأنه لاينزل عن مثاليته ، ولأنه ذو نزعة أصيلة ، وحرى بنا أن نذكر هنا مثالا للأسلوب المترسل الجميل ، الذى تميز به هذا الكاتب ، فأبعده عن زمرة المنشئين المثرثرين ، أو الكلاميين الغامضين ، الذين رتعوا فى عصور الانحطاط ، وما زال بعضهم ـ نظرا لقلة بضاعته ، يرتع فى هذا المضمار متسترا بالتعابير المبهمة ، وهو مانعاه علينا بعض الباحثين النفسيين بحق .

قال السحار فى مستهل الفصل الثانى عشر منوها ببدء رسالة المسيح عليه السلام : « الناصرة غارقة فى الصمت تطوف بها أحلام. راح الناس فى النوم ، حتى نجوم السماء هجعت ، فقد كانت ليلة لم يبزغ فيها نجم ، وفى ذلك الصمت والجلال كانت مريم قائمة تصلى ، فابنها خرج إلى يحيى بن زكريا الذى بعثه الله بشيرا بملكوت السماء ... »

إن أسلوب السحار فى كثير من المواقف أشبه مايكون بالشعر المنثور ، وإنه ليشف دائما عن شغفه بموضوعه ، وعن إيمانه به ،

ومن ذلك جاءت نصاعته وسماحته وجاذبيته .

دكتور أحمد زكى أبوشادي (صوت أمريكا والمقتطف)

المـؤلف

		الطبعة الأولى
أحمس بطل الاستقلال	قصة	مايو سنة ١٩٤٣
أبو ذر الغفارى		يوليو سنة ١٩٤٣
بلال مؤذن الرسول		مايو سنة ١٩٤٤
فى الوظيفة	مجموعة أقاصيص	ديسمبر سنة ١٩٤٤
سعد بن أبى وقاص		يوليو سنة ١٩٤٥
همزات الشياطين	مجموعة أقاصيص	فبراير سنة ١٩٤٦
أبناء أبى بكر الصديق		اكتوبر سنة ١٩٤٦
الرسول (حياة محمد ترجمه مع محمد محمد فرج)		يناير سنة ١٩٤٧
فى قافلة الزمان	رواية	سنة ١٩٤٧
أهل بيت النبى		مايو سنة ١٩٤٨
أميرة قرطبة	قصة	سنة ١٩٤٩
النقاب الأزرق	قصة	مايو سنة ١٩٥٠
المسيح عيسى بن مريم		سنة ١٩٥١
قصص من الكتب المقدسة		سنة ١٩٥٢
الشارع الجديد	رواية	سنة ١٩٥٢
صدى السنين	مجموعة أقاصيص	سنة ١٩٥٣
حياة الحسين		سنة ١٩٥٤
قلعة الأبطال	قصة	سنة ١٩٥٤
المستنقع	قصة	ديسمبر سنة ١٩٥٧
أم العروسة		يناير سنة ١٩٥٨
وكان مساء	قصة	مارس سنة ١٩٥٨
أذرع وسيقان	قصة	يوليو سنة ١٩٥٨

الطبعة الأولى

أرملة من فلسطين	مجموعة أقاصيص	سنة ١٩٥٩
الحصاد	رواية	سبتمبر سنة ١٩٥٩
القصة من خلال تجاربى الذاتية		سنة ١٩٦١
جسر الشيطان	قصة	أكتوبر سنة ١٩٦٢
ليلة عاصفة	مجموعة أقاصيص	ديسمبر سنة ١٩٦٣
النصف الآخر	قصة	يناير سنة ١٩٦٤
السهول البيض	رواية	يونيو سنة ١٩٦٥
وعد الله واسرائيل		يوليو سنة ١٩٦٧
عمر بن عبد العزيز	قصة	يناير سنة ١٩٧٢
الحفيد	قصة	اكتوبر سنة ١٩٧٢
هذه حياتى		فبراير سنة ١٩٧٥
مذكرات سينمائية		ابريل سنة ١٩٧٥

القصص الديني

(للأطفال)

قصص الأنبياء	فى ١٨ جزءا
قصص السيرة	فى ٢٤ جزءا
قصص الخلفاء الراشدين	فى ٢٠ جزءا
العرب فى أوروبا	فى ٢٤ جزءا

دار مصر للطباعة
سعيد جودة السحار وشركاه

رقم الإيداع ٢٠٠٤
الترقيم الدولى ١ ـ ٣٤٣ ـ ٣١٦ ـ ٩٧٧.